صراط

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2554) السنة التاسعة

الخميس (2) اب 2012

الشيخ احمد الوائلي

6

الشيخ الدكتور احمد الوائلي مفكراً.. مربياً.. خطيباً.. وشاعراً..

الدكتور الشيخ احمد الوائلي

الأسرة والنشأة العلمية

د. محمد سعيد الطريحي

رسمت ملامحي ليظل شكلي
مع المضمون في قلب الكتاب فجسمي
سوف يبلى بعد حين
وامحا مثل غيري بالتراب
وفوق الترب ليس يبين حسن
ولا قبح لشيخ او شباب
بلى سيظل من فعلي وقولي
حضور رغم إني في غياب
فيا متأملاً رسمي ترحم
عليّ بيوم ادعى للحساب
وقل ربي تلطف في فقير
لرحمتك الكبيرة والثواب
(احمد الوائلي)

السيرة الذاتية نسبه وولادته

هو الشيخ احمد بن الشيخ حسون بن الشيخ سعيد بن الشيخ حمود الليثي "الوائلي" النجفي.
ولد في النجف الاشرف يوم الجمعة ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٤٧، وبها تربى ونشا مع شقائق النعمان تطل على ذلك الوادي الافيح.

اسرته:

الليثي بفتح اللام وسكون الياء، وفي آخرها شاء مثلثة، هذه النسبة الى ليث من كنانة، وعلى هذه النسبة يؤكد مشائخ القبيلة، ولها اليوم فروع كثيرة في الفرات الاوسط، وناحية الحمار، من قضاء سوق الشيوخ ويعرفون بآل حطيط، وقسم الحي ويعرفون بآل باتش آغا، ولليثيين فروع تتصل بالموصل وبلاد الجزيرة وقديما كانوا زعماء البطائح – بين البصرة ووإسط – وكانت لهم ولاية البطيحة فيما قبل القرن الخامس الهجري وبعده، وكان ابو علي بن ابي الجبر الليثي متقدما في بعض نواحي البطائح وقد عصى ايام طغرلبك وهزم الجيش الذي ارسله السلطان لحربه، وبقيت إمارتهم إلى ما بعد سنة ٥٥٦هـ.
والوائلي: بفتح الواو وسكون الالف وكسر الياء تحتها نقطتان وبعدها لام، هذه النسبة إلى عدة قبائل تزيد على عشرة، والواقع ان صلة ليث ببني وائل غير واضحة تماماً ولعل مرد ذلك لبعض هذه الامور:
١- لأنهم يجتمعون مع وائل بالجد الخامس.
٢- لأن امهم – زوجة ليث جدهم الأعلى – بنت بكر بن وائل مباشرة.
٣- لكون لوائهم موحداً.
وعلى كل حال فأن بني ليث عرب اقحاح، وآثارهم، وتاريخهم، واعلامهم تملئ الكتب، وتراود الوائلي فكرة إعداد دراسة عنهم تحت عنوان ومنتجع الغيث في الصحابة والاعلام من بني ليث" وذكر لي أنه بدأ بالوليات الموضوع في العراق.
وفي النجف فان الأسرة الوائلية برز منها الكثير من العلماء والادباء، ومنهم:
– الدكتور ابراهيم الوائلي (١٣٣٢ – ١٤٠٨ هـ) بعد من اساتذة الأدب العربي في العراق.
– ابراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الحسين الوائلي (ولد ١٩١٤) كاتب قدير وشاعر واديب.
– عبد الامير بن الشيخ علي بن محسن الوائلي (ولد ١٩٢٨) كاتب اديب فاضل.
– محمد تقي بن الشيخ موسى بن عبود الوائلي (ولد ١٩٠٦) أديب وفقيه.
– الدكتور فيصل بن قاسم الوائلي (ولد ١٩٢٢) يعد من علماء العراق وتولى منصب مدير الاثار العامة ببغداد.
– قاسم بن الشيخ محمد (ولد ١٩٠١) وكان من رجالات ثورة العشرين، ومن الادباء.
– محسن بن الشيخ علي بن حرج الوائلي (المتوفى ١٣٣٦) عالم فاضل زاهد عابد.
– باقر بن الشيخ محسن (المتوفى ١٣٥٤) من أهل العلم والاصلاح.
– عبد الحسين بن محمد بن حرج الوائلي (المتوفى حدود ١٣٤٩ هـ) كان من الابدال الزهاد العباد.
– علي بن الشيخ محسن الوائلي (ولد ١٣١٧ هـ) من علماء النجف واهل الوعظ والارشاد.
وغيرهم الكثير من الاعلام في النجف خاصة والفرات عامة.

ابوه:

هو الاستاذ الخطيب الاديب الراحل الشيخ حسون الوائلي (١٨٩٠ – ١٩٦٣م) ولد في النجف وتوفي بها، وكان تاجرا للحبوب قضى اكثر حياته في (ابي صخير) وهو موضع من مملكة الحيرة القديمة، ولما تزوج الشيخ محمد علي قسام شقيقة الشيخ حسون اتصل به كثيراً بحكم هذه المصاهرة، واقنعه الشيخ قسام بسلوك طريق الخطابة الحسينية، فاكب الشيخ حسون على دراسة مبادئ العلوم العربية والاسلامية، واستطاع بنباهته وغناء وحسن حالته ان يطور نفسه ويتفرغ للمطالعة ليتمى ملكته الخطابية، مستعينا بالشيخ محمد علي قسام، ويلاحظ ان وعيه السياسي بدأ بالظهور باتصاله بآل قسام – الذين كانوا من الد اعداء الاستعمار البريطاني، فحسن عليهم، وساهم كخطيب باداء واجبه الجهادي في الثورة العراقية الكبرى ضد الانجليز سنة ١٩٢٠، وكان شاعرا مقلا ايضا له بعض القصائد في رثاء الحسين عليه السلام، وجدة الشيخ حسون كانت من الأسرة العلمية النجفية آل قفطان الذين ينتسبون الى بني سعد.

أمه:

هي الحاجة بيبي بنت الشيخ عواد بن محمد حسين بن الشيخ علي زيني النجفي، وآل زيني أصلهم من جبل عامل (لبنان) كما ذكر الشيخ محمد السماوي في بحثه عنهم والشيخ علي زيني – المذكور – جد والدته هو الجد الأعلى للأسرة النجفية "آل جدي" الذين منهم الشيخ جابر والشيخ حسن آل جدي.
وكان الشيخ علي زيني (المتوفى ١٢١٥ هـ / ١٨٠١ م) من كبار شعراء النجف باللهجة المحلية وهو صاحب الموالية الشهيرة في النجف والذي يقول فيه:

يا ميمر دوم عوجك على العدا حماي
وانته لنار الحرايب لو خبت حماي
ابات خايف بقلبي موجد وحماي
من حيث سيف العدا لقلونا ورب
والصحت منا تخرل (يا علي) ورب
من شيعتك بيش عنك تعتذر والرب
سماك حامي الحمه وتريدالك حماي

وللوائلي قربى من جهة امه بالشيخ هادي بن شريف القرشي، والشيخ باقر القرشي وكلاهما من الأدباء العلماء، وامهم بنت الحاج ابراهيم جدي شقيقة الحاج جابر جدي.
وعلى العموم فإنه عاش في ظل اسرته طفولة مرفهة ما تزال صورها في مخيلته حية في ذاكرته مائلة في ذهنه بما يحدثنا عنه عن ذلك فاسمع قوله:

سل الطفولة هل مرّ الزمان على
ألذ منها ومن أيامها الأول
أيام نشتار من صبح يطل على
ورد وليل على الالحان منسدل
نظل نركب احلاما مجنحة
تطير فينا الى الجوزاء والحمل
ونرسم الليل سعلاة باعينها
جمر وجثتها السوداء كالجبل
وكلنا نتبارى في بطولتنا
إذا حكينا فما فينا سوى بطل
حتى إذا ما انتهينا من ملاحمنا
واسلمتنا حكايانا إلى الملل
عدنا إلى الرمل نبني منه اروقة
ونصنع الطين من خيل الى إبل
وقد يمر شجار ثم يعقبه
صلح وما ثم من غل ولا دغل
عواطف في نقاء الشمس ناصعة
ما إن تعاملن في يوم على دغل
يا للطفولة نوّار واخيلة
مزوقات وطهر غير مفتعل

ويقول في اخرى:

عهود الصبا يا حلوة ان ذكرتها
فان شفاعي من حلاها تقطر
وعهد الصبا ترنيمة اريحية
تزوق من احلامنا وتعطر
فيا للصبا جفت لدان غصونه
وغاد يبيساً عوده يتكسر

نشأته ودراسته:

نشأ في النجف على ابيه نشاة فاضلة، كان فيها عزيز الجانب، موفور الكرامة، شديد الاعتداد بشخصيته، قوي الأمل بمستقبله، متفوقا على اقرانه، مع نباهة وذكاء حادين، وللمحاضرة النجفية اثر كبير في نبوغه، كونه خريج مدرستها الكبرى، التي هي اقدم مدرسة للادب العربي، تلك المدرسة التي مشى إليها ونضرها الاسلام فهي لوامع تموّج في أبعادها النور والنور ومصر وارض الرافدين نوائم ومما توأم إلا لتوأمه شطر
يشدهما عمق الحضارة موثلاً
وينميهما للمجد من يعرب نجر
ومن فوق هذا شرعة الله وحدت
مسارهما فاستلحم الشغع والوتر

عصر الوائلي:

من العوامل المؤثرة في صياغة شخصية الوائلي، هو عامل المجتمع الذي عاصره فالوائلي ابن النجف الاشرف، نشأ في محيطه تربية وتعليما، والنجف من اعرق البيئات الثقافية الاسلامية قدماً، يقول الدكتور علي جواد الطاهر:
والنجف مدينة العلم الديني المنقطع النظير، ثم الأدب والشعر، وهي فيهما نادرة من النوادر واعجوبة من الاعاجيب، يعني اهلها بقول الشاعر وسماعه والحديث عنه عنايتهم بالسائل اليومية من اكل وشرب، انهم ادباء كما يتنفس المرء الهواء.. ولا تسل بعد ذلك – عن الكتب والمكتبات، والاسر العريقة في العلم والادب والشعر ومجالسها الخاصة والعامة، وما يتلى من شعر في الافراح والاحزان، وفي مأتم الحسين بن علي وما يتفاخر به الشعراء ويسمر به الناس..
إن الشعر في النجف حياة، وهو لدى منتدى النثر، وتخرج منها بتفوق ومن اقرانه في هذه المرحلة السادة: صادق القاموسي، ومحمد حسن آل ياسين، ومحمد رضا المسقطي، واحمد المظفر.
ولما تأسست كلية الفقه سنة ١٩٥٨ انتسب اليها، وتخرج سنة ١٩٦٢ بحصوله على بكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الاسلامية، ثم اكمل الماجستير في نفس الاختصاص في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة بغداد، وكانت رسالته بعنوان (احكام السجون) ثم غادر الى جمهورية مصر العربية، حيث درس في كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ونال درجة الدكتوراه سنة ١٩٧٨ عن اطروحته الموسومة "استغلال الأجير وموقف الاسلام منه".
وخلال وجوده في القاهرة لاعداد اطروحة الدكتوراه درس الاقتصاد في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية، ومن اساتذته في هذا الاختصاص كان الدكتور علي لطفي – رئيس الوزراء المصري فيما بعد – يعلق عليه الامال الكبيرة.
وفي مصر حظي الوائلي باهتمام الفئات المثقفة من العلماء والادباء، لسعة ثقافته وخلقه السامي واجتماعياتهن ومن بين الاعلام الذين استأثر باهتمامهم الدكاترة والاساتذة: احمد الحوفي، وعبد الحكيم بلبع، وتمام حسان، ومصطفى زيد، ومحمد علي السايس، وعبد العظيم معاني، وبدوي طبانه، وعلي الخفيف، وغيرهم.
ولمصر في ذاكرة – الوائلي – أيام لا تنسى من الجهاد العلمي، واللقاءات الادبية المثمرة، وما يتبع ذلك من تبادل في الخبرات وتلاقح في الافكار، وعلى حد تعبيره فإن مصر هي لسان الضاد المعبر، ومنبعها الثر، ووجه العرب المشرق:

ومصر كفاءات وحشد مواهب
بكل مجال رائع عندما جدر
ومصر من الفصحى لسان معبر
ومن غرر الافكار مبعها الثر
ومهد حضارات تصدى قديمها
إلى حدثان الدهر فانهزم الدهر

وحفل عصره ايضا بعده من الخطباء المبرزين، منهم الشيخ محمد علي اليعقوبي، والشيخ محمد علي قسام، والسيد صالح الحلي، تليهم طبقة اخرى نسجت على منوال السابقين ممن ذكرناهم من الادباء والشعراء فيشكلون كما كبيرا لهم طابعهم النجفي الخاص، وادبهم الناضج والرائد، ابتداءاً من شيخ الأدب الشيخ محمد جواد الشبيبي، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والشيخ علي الشرقي، والشيخ محمد مهدي الجواهري، والسيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ صالح الجعفري، والدكتور عبد الرزاق محي الدين، وكثير غيرهم ممن صقلت بهم ابعاد النجف الحضارية، ومن الجدير بالذكر ان معظم اهل العلم شعراء ولكنهم لايرغبون بذكر ذلك عنهم لرغبتهم في الاحتفاظ بالنهج العلمي والاشتهار بذلك، اما المحققون في الابعاد الفكرية الاخرى فيوجد اعداد كبيرة، ورد ذكرهم في كثير من الموسوعات والمراجع المتخصصة، ومن اراد الاستزادة الرجوع اليها لأن النجف وبالاختصار كل ارقتها معهد علمي، وكل ناد من انديتها ومجلس من مجالسها هو عبارة عن مؤسسة ثقافية تحفل بعطاء علمي ناضج.
ومثل هذا الجو لابد ان يفعل فعله في شخصية الوائلي، فقيها كان او شاعراً او خطيباً، ويعمل على صقله وتهذيبه، وبالتالي تكوينه بالشكل اللائق، ولاشك ان للاستعداد الفطري لديه اثر في توجهه وحرصه على الانتهال من هذا الغدير الذي يحمل سمات المعلم الثاني بالوجود الامام امير المؤمنين عليه السلام، ومن قدس روحانية مرقده السامي الرابض كالابد على الذكوات البيضاء من الغري الاغر، ومن فيض نفحاته وبركاته ان عايش الوائلي واقرانه هذه الاجواء الرائعة التي قد لايجود الدهر بمثلها، وعاصروها وتفاعلوا معها فكراً وعقلا وروحاً، واستطاعوا ان يعطوا، ويؤثروا في الاوساط العلمية والاجتماعية، وللنجف في شخصية الوائلي اثر بليغ محفور في ذاكرته، ورنين يومي ابدي الحضور في شعوره وتصوراته، يملي على ذاته تمثلها في حركاته وسكناته، ولم تزده الغربة إلا تعلقا وتولها وهياما وشوقا مضرم اللهب، جياش العواطف، ابنائها ولا اسهل منه او ايسر، او انه فيها كالماء والهواء استسهالا واستغظاما، جدا وهزلاً، وهو مجد كما هو مرتزق، وعلامة فارقة لا تكاد تضاهيها فيه بلدة اخرى في العالم العربي..
ومن خواص النجف التي تذكر بالاكبار انها سايرت التطورات الدينية الادبية في العالم العربي، بصدر رحب وافق واسع فهي مع محافظتها على اصالة الفكر الاسلامي لم تتزمت فترفض المعاصرة، وانما اخذت من وسائلها واسبابها ما رأته الضرورة النافع حتى "ان الكتب الحديثة ما تكاد تدخل العراق حتى تتجه رأساً الى النجف فتتلقفها الايدي هي وكتابات اكثر حداثة كشعر شوقي وحافظ وايليا ابي ماضي، وفيهما ما يناقض الفكر النجفي المناقضة كلها، وهو رد فعل يتبناه الذين ضاقوا بالقديم وبلغ بهم الضيق الطرف الاقصى من رد فعل مطبوعات الاستانة، والهلال، والمقتطف، وشيلي شميل والريحاني.. ومجلات وجرائد مما يعد حراما وكفرا والحادا"..
على كل حال نشأ الوائلي في هذا الصر الذي يعتبر قمة في نضج وسعة المدرسة العلمية النجفية في مختلف ابعاد المعرفة، وكان من عناية الله تعالى بالحوزة ان تتابع جيل من المراجع المحققين والعلماء الكفوئين لقيادة الحوزة، وقد ضمت هذه الفترة على تعاقب واجتماع:
الميرزا حسين النائيني، والسيد ابو الحسن الاصفهاني، والسيد محسن الحكيم، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والسيد ابو القاسم الخوئي، والشيخ محمد حسين المظفر، والسيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد حسين الحمامي، والسيد محمد تقي آل بحر العلوم، والشيخ محمد رضا آل ياسين، واضرابهم من فحول العلماء الاعلام، وهؤلاء مجرد نموذج لا على نحو الاستيعاب، وتليهم طبقة اخرى صمّت مجموعة ، منهم:

ومن غير الافكار مبعها الثر
ومهد حضارات تصدى قديمها
إلى حدثان الدهر فانهزم الدهر
ونضرها الاسلام فهي لوامع
تموّج في أبعادها النور والنور
ومنها الى الكوفة، ومنها الى النجف، وهي نسيلة الكوفة او بقيتها، وما برحت النجف مورد اعتزاز الوائلي وفخره:

نجفي يا خميلة في الفيافي
وربيعاً يهتز وسط محول
وتراباً معتبرا لست ارضى
عن حصاه نجم السما ببديل
يامغاني العلا ويا مهبط الفكر
ومحراب نابغات العقول
يا مهادي الوثير يوم قدومي
ووسادا ارجوه يوم رحيلي
نام فيه ابي وشيخي واخواني
جميعا في ظل حامي الدخيل

وفي السابعة من عمره درس لدى الكتاتيب وحفظ القرآن الكريم، وكان ذلك في مسجد الشيخ علي نواية في سفح جبل الطمّة من محلة العمارة، وكان شيخه انذاك الشيخ عبد الكريم قفطان، وبعد تعلمه القراءة والكتابة، وقراءة القرآن الكريم، وبعدما صلب عوده واشتد ساعده، بدأ دراسته بشكليها الاكاديمي الرسمي، والحوزوي الذي يعتمد على قدرة الانسان ونبوغه ومقدرته العقلية، فجمع بذلك الفضيلتين، واستفاد من التجربتين، ففي الاولى انهى الدراسة الابتدائية بمدرسة الملك غازي الابتدائية في النجف سنة ١٩٥٢، ثم دخل متوسطة منتدى النشر، فكلية

لن يهدأ ولا يستكين:
صور اقمت بمقلتي اقامة المعمود
في ربع الحبيب النائي
يزدين حسناً كلما بعد المدى
ويلفهن البعد في لالاء
وتراب اوطاني ربيع اخضر
ولو انها في بلقع جرداء
صافحته بالخد عند ولادتي
ورسمت منه بجبهتي طغوائي
×××
(وادي الغري) وحق وملك وهو ما
اشتاقه في غدوتي ومسائي
لو تستبين على البعاد مشاعري
ملهوبة كالجمر في الظلماء
وصبابتي وانا القصي عن الحمى
وبمقلتي تلفت الغرباء
لحزّنت لي ولحن وملك مثلما
ضج الحنين بادمعي ودمائي
فانا ابنك البر الوفي وفطرة
عطف الأب الحاني على الابناء
اترى وطيفك يستبد بمقلتي
انساك لا ورمالك السمراء
فانا لهيب مشاعر وصبابة
تواقة لقبابك الشماء
والى محاريب العبادة والتقى
ولخشعة من راهب بكاء
اما مدارسك التي رقت بها
للفكر الف خميلة غناء
انا من طيوف خميلها اشدو بما
في روضها من روعة وبهاء
ويبطن تربك في جذور اوغلت
من اعظم الاجداد والاباء
ممن اراق دماً واسرج فكرة
من أجل مجدك دونا ضوضاء
وبراعم لي في حشاك دفنتهم
كانوا النسيج البكر من احشائي
ورأيت فيهم للطفولة بسمة ودفنت فيهم
بهجتي وهنائي
فلديك اصل والفروع وانني
انا لاحق بهما بدون مراء
والفتى، يجوب فعلا مرائح النعمان بن
المنذر، ويستظل بغربائه، ويتفيأ شقائقه،
ويفترش شيحه وقيصومه، في اجواء لم
يغادرها الشعر قط، حية نابضة باصدار
الاعشى الكبير، وعدي بن زيد العبادي:
وللدوالي بأرباض الدير بها
طيف من ابن عدي او شذى دعد
ودير هند وقد مرت كواعبه
تمشي الى الكرح في دلٍ وفي اود
حيث الشعانين تستهدى مواكبه
طريقها بنهود للسما نهد
وحيث يمزج ثرواتي خمرته
بالخمر حين ابتغى ماءاً ولم يجد
لكوفة الجند اطياف الكميت بها
وندة ثقة في المتن والسند
لسامر المتنبي العبقري لدى
ربوع كندة بالنقاد محتشد
لرملة النجف السمراء ضاحكة
ابعادها بالاصيل الحلو والرأد

ما دمنا في مجال دراسته يحسن بنا الاشارة الى منهجيتها – ولو بصورة عابرة – ذلك ان الوائلي لم يقتصر على الدراسات المذكورة بل واصل فيها التحصيل الذي يتطلبه موضوع الخطابة الحسينية، والذي يحتاج فيه الخطيب الى تحصيل موسوعي نظراً لحاجة المنبر لمجموعة كبيرة من المواد العلمية .
ومن المفيد هنا الاشارة ايضا الى ان كلا من الدراسة الحوزوية، ومناهج المنبر الحسيني في هذا العصر كانت تتسم في جو شديد من المنافسة تتميز به مدرسة النجف العلمية في اصالتها وعمقها، وما يلاقيه طالب العلم من صراع في سبيل تحقيق ذاته، وإثبات وجوده، ولا دور في مدرسة النجف إلا للموهوبين الذين يمن الله تعلى عليهم باستعداد خلقي بالاضافة الى جد في السعي والتحصيل، وحلقات تتبارى فيها الكفاءات من اساتذة لا معين يحرص كل منهم على انتاج مميز يساجل به الاخرين مما يعرفه من طلاب العلم في الأسر العلمية في النجف، وكذلك بجيل مميز من الخطباء حقق نقلة في المنبر الحسيني من مجرد كونه محركا عاطفيا يعتمد على اثارة الشجون والحزن لمأساة الطف، الى مرحلة حفلت بالسرد التاريخي وربط الحوادث بعفلات وعبر وشيء من العقائد والاحكام توضع في اطار ادبي، ومنهج من مفرداته النصوص الادبية بقسميها الشعر والنثر وسير الصالحين والعظماء، وكانت المرحلة بالنسبة للوائلي حافزاً له على استثمارها وبناء الاسس عليها منطلقا الى ماهو اوسع واشمل، ومعتمداً في ذلك على امكاناته العلمية لتحقيق ذلك وفق قنوات منهجية وعلمية، ونجح الوائلي في ذلك نجاحاً عريضا، وسرعان ما امتد صيته الى الملايين من ابناء الطائفة في العالم العربي والمهجر وبالطبع فليس من السهل نجاح مثل هذا الاسلوب الذي عرف به الوائلي، لأن مستمعي المنبر يختلفون في وضعهم الثقافي، ويتنوعون من امي الى جامعي، فلست تملك قدراً جامعاً يرضي اذواق هؤلاء مالم تتنوع المعلومات، ويتم اختيار منهج لبق يوازن بين حاجات هؤلاء في انسجام وربط ذكي، وذلك ماوفق فيه الوائلي الى حد كبير مع ما تميز به حضوره من جرأة ادبية عالية ولباقة نادرة وبديهة حادة، فطفق شعاع مجالسه الثرة يخطف ابصار المعجبين، واخذ سحر بيانه يستولي على الباب المؤمنين، وطار صيته في كل المرابع والنوادي واشتهر امره في الحواضر والبوادي وبذلك تسنم عرش امارة الخطابة الحسينية بحق وحقيقة، فهو اليوم امير المنبر الحسيني بلا منازع، ولا يجادل في ذلك إلا معاند او جاهل، وذلك من الله لطف وتدبير بل هو فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده، قبورك للوائلي امارته في رحاب سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام.

مع بناته في دمشق

الشيخ د. احمد الوائلي عميد المنبر الحسيني

د. عبد الإله الصائغ

صورة لاحد مجالس الشيخ احمد الوائلي رحمه الله في بغداد عام ١٩٦٧

تزرع الرعب في نفس الجاسوس او الإثنين برفع صوتها لحظة الصلاة على النبي فيهرب الجاسوس هلعا ولعنات العيون تطارده!! وقبل ان يعتلي هذا الفطحل منبره المقدس اوقفه السيد ناجي و السيد ناجي معروف نجفيا فهو يمثل دور العباس قمر بني هاشم في واقعة الطف ولن تجد ذاك الزمان من يقول له كيف تجمع بين ميلك الشيوعي وخشوعك وانت تمثل دور العباس!! لسبب بسيط ان النجف ولاية متحضرة.

قال السد ناجي الذي يتمنطق بنطاق قماش اخضر خاص بالسادة: مولاي الشيخ كسبت لك مريدا جديدا هو هذا الصبي الهاشمي فمد الوائلي يده الشريفة ليصافحني او يربت على كتفي او يمسح شعري!! وهممت بتقبيلها لأعبر له ولنفسي عن فرحي وانبهاري بهيبته فقال لي:لا... لا!! والنبي الأمين كان يمنع من يهم بتقبيل يده ويقول له: مه لا تفعلوا بنبيكم ما تفعله الأعاجم بملوكها!! ثم ياسيد إن السيد لا يقبل يد العامي!! ولم اكن وانا المرتبك لأفهم الدرس الأول الذي منحنيه الشيخ.

طريقة الشيخ الوائلي وهو العالم المربي والزعيم المصلح أن يبدأ عزاءه بأي من القرآن الكريم ثم يحلله بطريقة عجيبة فيأخذك منك ويلهيك عنك ومن المعنى او معنى المعنى يمسك قضية علمية في الفلك او الكيمياء او الطب..... إلخ ويحلق بنا معه في اجواء معرفية راقية!! يفهمها الخاصة والعامة والمثقف المتمكن والأمي البسيط ! وبعد ان يحرث نفسك ويغرس فيها نبتته العلمية او التربوية او الحضارية وينتهيأ لك انه نسي العزاء أو انسيه يندلق بك بمهارة هي من سر مهنته الى مصيبة الحسين ويبكيك ويوصلك الى النحيب والنشيج ويكف ويذهب الى مجلس آخر وانت تبكي وتنتحب كأنك تسمع بمصيبة الحسين للمرة الأولى!!.

ولا تسلني كيف ادمنت مجلس الوائلي حين كبرت وصرت الاحقه مع مئات غيري من مجلس لآخر ومن مدينة لأخرى!!

بغداد والشيخ الوائلي:

عام ١٩٦٥ عام سطوع شعرية احمد الوائلي ومصطفى جمال الدين في قاعة الشعب التي كانت جزءا من وزارة الدفاع والتي شهدت الساعات الحرجة من حياة الشهيد عبد الكريم قاسم قبل ان يوضع في مصفحة ويؤخذ الى الأذاعة حيث أعدم هو ورفاقه الشرفاء ! ومهرجان الشعر ١٩٦٥ المتفرع عن مؤتمر الأدباء العرب (عملتُ في جامعة مشيغن احتفالية عظيمة لمصطفى جمال الدين اسهم فيها ابنه الكبير المحامي ابراهيم جمال الدين وحشد من أعلام الأدب فغصت القاعة الكبرى على سعتها وقد كتب الشاعر الأمريكي الصابئي من اصل عراقي دكتور مندوي قصيدة جميلة في جمال الدين!!.))

والحديث الآن عن الشيخ الوائلي فقيد العراق بكل اطيافه دون تمييز!! كانت عينيته عام ١٩٦٥عين المؤتمر كما قال الشاعر المصري الكبير و الرائد المعروف محمود حسن اسماعيل!!

قال الشيخ احمد الوائلي كل شيء فعانقته القلوب وقبلته العيون وبايعته الأكف!! ولسوف انسحب واترك القاريء الكريم مع القصيدة وجها لوجه فقد كان رحيل الوائلي موتا لبعضي ودفناً لعهد من الذكريات عزيز علي !! ويقول الشاعر المخضرم عمرو مَعْدِ يُكرب:

ذهب الذين احبهم وبقيت مثل السيف فردا))

معلقة بغداد للشاعر الكبير الشيخ الدكتور احمد الوائلي التي انشدها في قاعة الشعب عام ١٩٦٥ :

لغد سخيٌ الفتح ما نتجمعُ
ومدى كريم العيش ما نتوقع
يامهرجان الشعر عبئك مجهد
فإذا نهضتَ به فإنك اروع
أنا نريدك والأماني جسدت
بك رائدا يبني وفكرا يبدع
أنا إن شدا بك مزهري فلأنك
اللحن المحبب والنشيد الأروع
ولأن اهدافا توحد أو دما
غمر العروق قرابة لا تقطع
بالأمس والحقد اللئيم يسومنا
فيجف في يده الأغض الأينع
فابعث بروح منك في تلعاتنا
لترف مجدبة ويورق بلقع
لسنا بمعهود على أبعادنا
يبس فدنيانا الربيع الممرع
.....
قدنا الفتوح فما تشكى وطأنا
فكر ولا دين ولا من يتبع
حتى الرقيق تواضعت احسابنا
كرما فأولیناه ما لا يطمع
عفوا إذا جمح الخيال فلم أجيء
للأمس أمري الضرع او استرضع
لكنها صور جلوت ليرسم ال
فجر المشرف والأصيل المفجع
.....
بغداد يازهو الربيع على الربى
بالعطر تعبق والسنا تتلفع
يا ألف ليلة ما تزال طيوفها
سمرا على شطآن دجلة يمتع
يالحن معبد والقيان عيونها
وصل كما شاء الهوى وتمنع
بغداد يومك لا يزال كأمسه
صورا على طرفي نقيض تجمع
يطغى النعيم بجانب وبجانب
يطغى الشقا فمرفَّهٌ ومضيَّع
في القصر اغنية على شفة الهوى
والكوخ دمع في المحاجر يلذع
ومن الطوى جنب البيادر صرَّع
وبجنب زق ابي نواس صرع
ويد تكبَّل وهي مما يفتدى
ويد تقبَّل وهي مما يقطع
ويصان ذاك لأنه من معشر
ويضام ذاك لأنه لا يركع
كبرت مفارقة يمثل دورها
باسم العروبة والعروبة ارفع
عدنا وبعض للسفين حباله
والبعض حصته السفينة اجمع
ومشت تصفنا يد مسمومة
متسنن هذا وذا متشيع
ياقاصدي قتل الأخوة بيننا
لموا الشباك فطيرنا لا يخدع
فتبيني هذي المهازل واحذري
من مثلها فوراء ذلك اصبع
وإذا المحت على طريقك عتمة
وستلمحين لأن دربك أسفع
شدّي وهزّي الليل في جبروته
وبعهدتي ان الكواكب تطلع
لا تشتمن الخطب او تبكي له
فالخطب ليس بمثل ذلك يدفع
فالمجد يحتقر الجبان لأنه
شرب الصدا وعلى يديه المنبع
وتوق ارقمها فلست بواجد
صلا على طول المدى لا يلسع

١

لا احد منا نحن يستطيع نسيان بصمة العلامة الكبير احمد الوائلي في المنابر الحسينية! فقد كان نور الله ثراه وكأنه منذور للمنبر الحسيني موشوم بتطوره! وهل كثير على الوائلي الرائد ان يكون مدرسة كبيرة يتخرج فيها أئمة المنبر وعشاق أهل بيت النبوة! الناس تختلف في امور كثيرة ولكن من آلاء الله علينا ان الناس كل الناس اتفقت على ريادة الشيخ الوائلي وعمادته في مرائي العترة الطاهرة من صفوة اهل البيت! لم يكن الوائلي ليرضى أن يصادر إرث النهضة الحسينية ببكائيات معتمة وبطقوس غريبة! لم يكن ليرضى الوائلي ان يكون شهر محرم الحرام طقسا للرثاء مفرغا من المعاني الكبيرة التي اهرق آل البيت دماءهم من اجلها! سمعته بأذنيَّ هاتين يقول الحسين ليس شيعيا ويزيد ليس سنيا والمعركة بينهما كانت فاصلة بين الأخلاق والإنحطاط الأخلاقي ! بين الصدق وبين الكذب!! لقد اراد الوائلي ان يكون المحرم أكاديمية حسينية تخرج الأفذاذ والقادة والمصلحين وهم يحملون شهادات تنويرية ممهورة بالعلم والقيم الإنسانية والحلم برقي البشر كل البشر! لأن عالما بقامة الوائلي العظيم يدرك بوعيه الحاد ان نهضة الحسين ليست حكرا على المسلمين الشيعة ولا المسلمين السنة لأنها وببساطة دعوة للسلام بين الناس دعوة للمحبة دعوة للنقاء قبل ان تكون دعوة للبكاء ! دعوة لمقاتلة النفاق الديني والسياسي والاجتماعي بكل ما اوتينا من قوة اليد واللسان والفكر والروح !! واشهد الله ان الوائلي نجح في تحقيق حلمه النبيل وشهد ثمار دعوته قبل ان يغمض عينيه ويلتحق بركب الملائكة والقديسين! بات القاريء الحسيني حداثويا! وغاير صورة الروزخون القداموية! فهو يتحدث بلغة العلم ويتوفر على علوم اللغة والبيان والتاريخ والفقه والشريعة وحتى الكيمياء والفيزياء والحساب! ألم يكن الإمام محمد بن علي باقر العلوم ؟؟ ألم يكن ولده الإمام جعفر بن محمد الصادق عالما في الكيمياء والفيزياء والفلك فضلا عن علوم اللاهوت والدين والمذهب! أهل البيت هم اهل العلم وما الغرابة؟؟ ألم يقل النبي الأمين وفق كتب الصحاح جميعها (انا مدينةالعلم وعلي بابها) من هنا يمكن ان نستشعر سعادة الشيخ العلامة الوائلي وهو يغمض عينية في مدينة النجف الأشرف بعد ان عاد اليها إثر غربة شديدة الوطء وقد تحقق حلمه بمنبر حسيني تنويري وتحقق حلمه رحمه الله بسقوط دولة الطاغوت الناصبي صدام حسين ورهطه من مغول القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين ! اللهم تغمد الوائلي برحمتك الواسعة واجعل جهوده في تطوير المنبر الحسيني جوازه الى الفردوس وحبب طريقته في التعامل مع استشهاد الحسين واهل بيته الى ابنائه وزملائه من خطباء المنبر الحسيني المقدس اللهم آمين .

هل كثير على الوائلي الرائد ان يكون مدرسة كبيرة يتخرج فيها أئمة المنبر وعشاق أهل بيت النبوة؟ الناس تختلف في امور كثيرة ولكن من آلاء الله علينا ان الناس كل الناس اتفقت على ريادة الشيخ الوائلي وعمادته في مرائي العترة الطاهرة من صفوة اهل البيت! لم يكن الوائلي ليرضى أن يصادر إرث النهضة الحسينية ببكائيات معتمة وبطقوس غريبة

كيف عرفتِ الوائلي ؟!

منذ نعومة اظفاري تعلقت بهذا الشيخ الوسيم المنطيق الدؤوب ! فهو فارس النجف الأشرف فى المنبر الحسيني دون منازع ، وهو زعيم ديني شفيف الروح والوجه واللسان، يحدثك ببساطة القروي وفراسة البدوي وحذق الحضري فيتسرب الى دمك هينا لينا!! لا يكفر احدا! ولا يستعدي قوما على آخرين! ولا يثقل عليك بأناه وأنانيته لسبب بسيط جدا ان منبر الحسين والأنانية عدوان لن يلتقيا الى قيام الساعة.

اسمع والدتي الرائعة تتحدث عنه الى صويحباتها وهي وهن مفتونات به!!. جيراننا يحفظون حكاياته عن ظهر قلب!! وحين ادخل مدرسة غازي الإبتدائية طالبا وامر بجمع المعلمين الذين اختاروا حدائق المدرسة غرفة لجلوسهم يخيل الي انهم يتحدثون عن الوائلي!! قلت لجاري ومعلمي الروحي المناضل التقدمي المتدين السيد ناجي السيد مجبل الشريفي (أبو الكواني) نور الله ثراه: عمو خذني الى مجلس الوائلي! فحدجني بنظرة احبها فيه فمن خلال ثوان يقرأ هذا السيد روحك دون حاجة لأن يستفهم منك!! وهززت راسي اقول له نعم اريد رفقتك الى مجلس الوائلي!! قال حاضر ياسيدنا الصغير سأحقق رغبتك!! وكان الوائلي يقرا محاضرته الحسينية في الميدان واجهة النجف التي خربها البعثيون!! ومن المعاجز ان تجد لك موطيء قدم حين لا تذهب مبكرا!! ذهبنا مبكرين وكان مجلسنا بحيث لا يفصلنا عن منبره فاصل! واقبل سلطان الأرواح مثل طيف هني واستقبلته الجماهير الغفيرة القادمة من شتى المدن العراقية القريبة او البعيدة ومن اولاد المدينة بالصلاة على النبي محمد وآله العبقين المطهرين! وإذا شعر المجلس ان جاسوسا يتخفى او اثنين – الجاسوس في معجم ذلك الزمان هو وكيل الشعبة الخاصة!! الأمن بعد انقلاب ١٤ تموز جولاي ١٩٥٨) فإن الجماهير الذكية فطريا

احمد الوائلي مفكراً.. مربياً.. خطيباً.. وشاعراً..

عرض/ عراقيون

تأتي اطروحة الدكتور غانم نجيب عباس التي صدرت مؤخراً في بغداد عن (مكتب احمد الدباغ) ٢٠٠٦، بالقطع الكبير والموسومة بـ(الشيخ الدكتور احمد الوائيلي.. مفكراً.. مربياً.. خطيباً.. وشاعراً) لتتناول شخصية الوائلي بجوانبها المختلفة، سيرته ودوره في الحياة الفكرية والاجتماعية في العراق للفترة من (١٩٢٨ – ٢٠٠٣).

بوصفه موضوعا لم يتم تناوله في دراسة اكاديمية علمية مستقلة، فضلا عن ذلك فان تناول هذه الشخصية بالدراسة والتحليل تسلط الضوء على تاريخ العراق في أدق مرحلة من مراحله التاريخية التي تشمل النصف الثاني من القرن العشرين، والسنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين.

وهي فترة حافلة بالاحداث والمتغيرات السياسية التي ألقت بظلالها على حياة الشيخ العامة، وكانت جزءاً لا يتجزأ من همه الوطني والانساني، ويرى المؤلف في شخصية الوائلي انها شخصية دافئة شفافة اثرت في تفكير جيل كامل من الناس الذين كانوا يتطلعون الى من يحرك قيم الفضيلة والايمان، وحب الحياة المتطلعة الى غد افضل، والعمل من أجل الآخرة، وزرع المثل والقيم الانسانية العليا التي تنأى عن الاستغلال والعنصرية والطائفية المقيتة، وبقية الامراض الاجتماعية التي باتت تلاحق الانسان، ونحاول ان نصبح جزءاً من تكوينه الفكري فكان الوائلي بحق لسان أهل البيت الناطق، وجاءت محاضراته الفكرية العميقة التي لا تكتفي برصد الظاهرة الاجتماعية وتحليل المضامين الحقيقية للاسلام من مضانه الاصلية فحسب، وانما تغوص في العمق الانساني لتثير الحوافز المبدعة والقدرة على فهم الطابع الابداعي في الاسلام ودور العقل في توجيه تفكيره لما فيه خير المجموع والانسانية وتؤكد الدراسة ان الشيخ الوائلي سار على نهج سيد البلغاء وإمام المتقين سيدنا علي بن ابي طالب (ع) الذي قال (لاشيء عبد به الله افضل من العقل)، لذلك لم يكن من قبيل الصدفة ان يجعل الوائلي العقل هادياً لطريق الصواب، وتخليص الاسلام من الادران التي لحقت به، والشوائب التي علقت باطرافه، وتأسيساً على ذلك اختار المؤلف هذه الشخصية الفكرية لتكون محورَ اساسيا لاطروحته التي تالفت من مقدمة واربعة فصول وخاتمة.. حيث تطرف الفصل الاول الى البيئة العامة للنجف الاشرف بوصفها النبع الأول الذي عاش في كنفه الشيخ الوائلي، فمتناول الفصل في مبحثه الأول تسمية النجف وموقعها ونشأتها، في حين عرض المبحث الثاني بيئتها الفكرية والدينية ، في حين اختص المبحث الثالث بالبيئة السياسية للنجف الأشرف.

وخصص المبحث الرابع لتناول البيئة الاجتماعية وابرز العوائل والأسر في هذه المدينة العراقية المقدسة.. وبحث الفصل الثاني ولادة احمد الوائلي ودراسته وحياته العلمية وشعره عبر اربعة مباحث، اختص الأول منها بولادته وتسميته وعشيرته، في حين تطرق المبحث الثاني لدراسته الاكاديمية والحوزوية، وعرض المبحث الثالث لحياة الوائلي العلمية، اما المبحث الرابع فاختص بشاعرية الوائلي.. وما للشيخ من دور في مجال التفسير العلمي للقرآن الكريم، فقد فسر عدداً غير قليلة من سور وآيات القرآن الكريم تفسيراً علمياً ينسجم مع روح الشريعة الاسلامية ومنطق العلم..

وكان للوائلي دور اساسي في نشر الفكر الاسلامي والدفاع عنه سواء من خلال محاضراته او عبر كتبه التي الفها لهذا الغرض، وطور الوائلي المنبر الحسيني بما ينسجم مع مهماته الكفرية واهدافه العظيمة، فلم يتوقف عند حدود ما وصله هذا المنبر سابقاً، وإنما اضاف اليه جوانب كان يتفقد لها سابقاً، وبين المؤلف حرص الشيخ الوائلي في محاضراته وكتاباته على تجاوز المذهبية الضيقة والتعصب والانغلال، فكان بذلك من رواد الدعوة الى وحدة المذاهب الاسلامية والتقارب بين الاديان، مشكلة هذه الجوانب اجملها الاطار الفكري الذي بحثه الفصل الثالث من الاطروحة الذي حمل عنوان (دور الوائلي الفكري والاجتماعي)، وتناول الفصل الرابع من الاطروحة (النتاج الفكري للوائلي) مبوباً في اربعة مباحث تطرق في الاول منها الى منهجية الوائلي في محاضراته ومؤلفاته، في حين اختص المبحث الثاني بكتابه (من فقه الجنس في قنواته المذهبية) وتطرق المبحث الثالث الى (احكام السجون بين الشريعة والقانون) بوصفها رسالة الماجستير التي قدمها الوائلي الى جامعة بغداد، اما المبحث الاخير فتطرق الى اطروحته للدكتوراه المعنونة (استغلال الاجير وموقف الاسلام منه) التي نال بها درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، وتضمنت الخاتمة ابرز الاستنتاجات التي توصلت اليها الاطروحة وتقييمها لهذه الشخصية الفكرية التي تعد من ابرز الشخصيات الفكرية الاسلامية التي انجبها العراق خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وكان له دور ريادي في تاريخ العراق والدول الاسلامية وأثرت محاضراته في جيل كامل من الناس، ما جعل نظاماً دكتاتورياً يجند اقلاما عدة من أجل منع تأثيره الفكري في العراقيين جميعاً.

واختتم الدكتور الوائلي فضلا عن نبوغه وذكائه المتقد، قابلية التأثير في مستمعيه من خلال اختياره مقدمة لموضوعه وآية تدعم أراءه، ومعلومات شمولية تتلاءم مع وعي المستمع وإدراكه السهل الممتنع قريبة من الذهن، ومؤثرة لا تبعث على الملل، وإنما تجذب السامع للاصغاء إليها وتشده الى مضامينها لأهميتها وحيوتها وتناولها قضايا لازالت تثير الجدل بين المفكرين وعامة الناس..

وأشار الباحث في اطروحته ايضا الى ان الشيخ لم يكتف بالقراءة في المنبر الحسيني والتقيد بهذه المهمة الحيوية، وانما دخل ميدان التأليف من اوسع ابوابه، فاختار موضوعات في غاية الاهمية ومازال الجدل حولها مستمرا مثل (نحو تفسير علمي للقرآن) و(هوية التشيع) و(تجاربي مع المنبر) و(من فقه الجنس في قنواته المذهبية) وغيرها من المؤلفات التي تميزت بعلميتها وعمقها الفكري وشموليتها..

لقد جاءت دراسة الدكتور غانم نجيب عباس معمقة وشاملة ولعلها الدراسة الأولى التي تعني بالشيخ الوائلي وتتخذ من المنهج العلمي الاكاديمي منحى لها بوصفه واحداً من ابرز المفكرين الاسلاميين لا في العراق فحسب، وإنما على الصعيد الاسلامي، ولكنه سجل تقصيراً على الشيخ المرحوم الوائلي في عدم إقامة مركز او مدرسة لتخريج الخطباء يعوضون النقص الذي قد يحدث نتيجة وفاة رواد المنبر الحسيني، او هجرتهم، مستشهداً بالفراغ الذي نجم عن انتقال الشيخ الوائلي الى جوار ربه الكريم خير دليل على انه لم يخلف حسب رأيه من يعوض مكانه في الابقاء على حيوية هذا المنبر وقدسيته..

وكان الكتاب في الأصل اطروحه دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصرة قدمت الى عمادة معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، وتألفت لجنة المناقشة من الاستاذ الدكتور عبد الزهرة الجوراني رئيساً وعضوية الاستاذ الدكتور عبد الغفور الشيخلي والاستاذ الدكتور عادل تقي البلداوي والاستاذ الدكتور قيس ناطق محمد والاستاذ المساعد الدكتور خالد العاني والاستاذ الدكتور محمد كامل الربيعي عضوا "ومشرفا"..

وبعد مناقشة حامية استمرت لمدة خمس ساعات ونصف الساعة منح درجة الدكتوراه بدرجة امتياز.

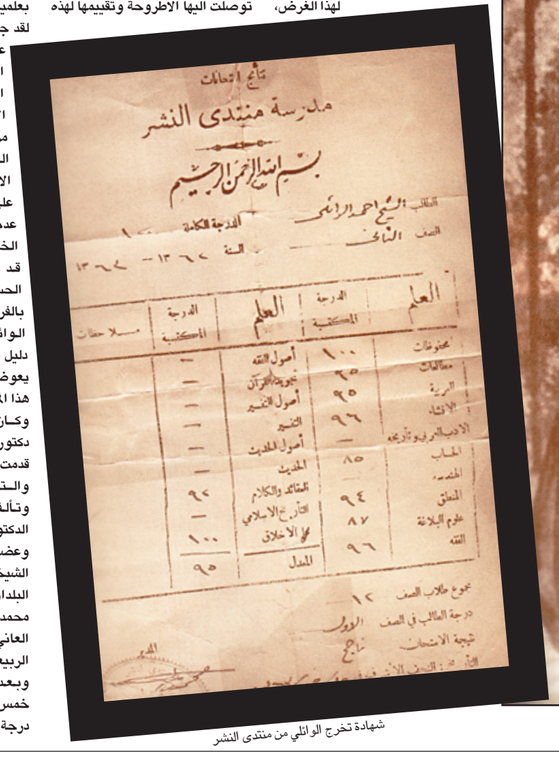

شهادة تخرج الوائلي من منتدى النشر

من القاهرة تحية للدكتور الوائلي

احمد الحبوبي
وزير وسياسي سابق

ما اعتاد قلمي ان يقف طويلا بين اصابعي حائرا او متهيبا عندما يحجبه أمر يريد ان يشارك فيه ولكنه فعلها هذه المرة وقف وتلجلج وله العذر كيف لا يتهيب ويرتج عليه وهو في رحاب الشيخ احمد الوائلي وقد دخل في روعه كثير من الأمور والاعتبارات تداخلت وتشابكت.

وامتزجت وهو حيال مفكر وداعية ومرب وقدوة وشاعر لا يشق له غبار وانسان ينطوي على قلب كبير وصديق هو البحر من أي النواحي اتيته جد واجتهد حتى فرض نفسه على الناس وحفر اسمه في قلوبهم وطبقت شهرته في الآفاق في العراق والعالمين العربي والاسلامي ولا انسى الاصداء التي احدثتها رسالته العلمية لنيل شهادة الدكتوراه في كلية دار العلوم في القاهرة في اوائل السبعينيات من هذا القرن وكيف كانت محل تقدير وإعجاب كبيرين لا من الاساتذة المشرفين عليها فحسب بل كل من حضر المناقشة العلمية من العلماء أيام ئذ وانت تسمع له وهو ينحدر كإنحدار السيل في تبيان موضوع رسالته ودفاعه المتين عما جاء فيها ورودوه المفحمة في موضوع يبدو بعيداً عن دراسته واختصاصه عن الاقتصاد والعمل والانتاج والسلوك حتى ضجت القاعة بالتصفيق له تقديرا واعجاباً بهذا المفحم القادم من النجف والذي يعرف الوائلي كان ولايزال يركب الصعب ولايميل الى السهل من الامور لم تكن حياته سهلة وميسرة وكان عليه ان يروضها على الاحتمال وهو يسلك طريقه الوعرة والصعبة قبال دراسته العلمية في النجف فانصرف في كليته الى تحقيق ما كانت نفسه ترنو اليه وقد الزمها على سلوك هذا الدرب الطويل ورغم الظروف والاعتبارات الخاصة التي تحيط بالوائلي واقرانه من طلاب العلم والحوزة والخاص بهم إلا ان الوائلي لم يكن بعيداً عن الارهاصات التي كانت تحتضر الحياة السياسية في العراق فتراه ينفعل في الاحداث ويتجاوز معها من خلال مشاركة وجدانية

مع الزعيم عبد الكريم قاسم

مع علماء الدين

الوائلي يلقي احدى قصائده

تتمثل بقصيدة شعرية او غيرها من الفعاليات لم يحتج الوائلي الى وقت طويل كي يشتهر ثقافيا، ولا انسى ان الناس راحت تتحدث عنه بعد وقت قصير من ارتقائه المنبر الحسيني وهي تبشر بميلاد قارئ جديد من نوعية جديدة وراح نجمه يعلو ويكبر ويتلألأ حتى عم الآفاق، لقد غير الوائلي بعد ان رقى المنبر من مفهوم الروزخون الذي عرفه الناس يستدر الدمع ويحفز على البكاء إلى شيء آخر يختلف تماما صار المنبر مدرسة او جامعة تلقى فيها المحاضرات في مختلف القضايا والموضوعات التي تهم الناس في الاجتماع والتاريخ والسياسة والفقه والعلوم حتى سمي عصره بحق (عصر الوائلي) وقد الزم من جاء بعده من القراء ان ينحو هذا النحو وكلهم من تلاميذ مدرسته وعيال عليه ووقف الناس يتنافسون على استماع اشرطته المسجلة لأحاديثه ومحاضراته، الوائلي عالم جوال يهدي العقول ويبدد الضلال وينير الطريق ولقد حياه الله اعصاباً هادئة وقوة احتمال عجيبة وضاقت الانظمة من تأثيره هذا وضاقت به ذرعاً ولكنه لم تستطع ان تفعل شيئاً امام هذا الزحف الهادر من المؤيدين والمعجبين فلاذت بالصمت على مضض ولكن طلفاحا لم يهدأ له بال او ينام له جفن إلا بعد ان يسكن صوت الوائلي وصمد الوائلي وقبل التحدي انه صاحب رسالة وأية رسالة حملها الحسين (ع) والوائلي وكب هذه المدرسة وأنى له ان يتراجع ويتزعزع واشتعلت الحرب وضيق عليه الخناق واعتقلوا ولده وغيبوه في غيابة الجب وانقطعت اخباره وضل صوته مجلجلاً يقارع الظلم والطغيان اينما كان وفي كل زمن ومكان، الوائلي شاعر من الطراز الرقيق غزير النتاج ينظم في كل ضروب الشعر وأنا واثق ان لديه من النتاج ما يغطي اكثر من ديوان وانا كنت عندما التقيه في دمشق او في القاهرة يسمعني الجديد من نتاجه في السياسة وغير السياسة اسمعني ملاحم عن العراق وحالة شعبه المأساوية والنظام المبتلى به وأما نغمه فرائع اين منه شعر أبي ربيعة خاصة إذا تغنى به صوته وقد حياه الله.

صوتاً من احلى الأصوات واشجاها ووالله ما سمعته يكشور بصوته الرخيم إلا ترقرقت الدموع من عيني لا ادري لعل قلمي ما زال متهيباً فالوائلي اكبر من اوفيه حقه ثم إنه صديق وانا امام الصديق قليل الحيلة ضعيف البيان ولا بأس ان اذكر اخي الوائلي بمقولة صاحبنا في القاهرة ابو صلاح الشهيرة التي ما كان يرددها كثيرا امامنا (دنيا في العكب) او ليس من عجيب الدنيا ان تستمر غربتنا وكربتنا.

عن مجلة المواسم 1989

الشيخ الوائلي •• صور نادرة

مع السيد محمد باقر الحكيم

بالجامعة الدينية في النجف الاشرف

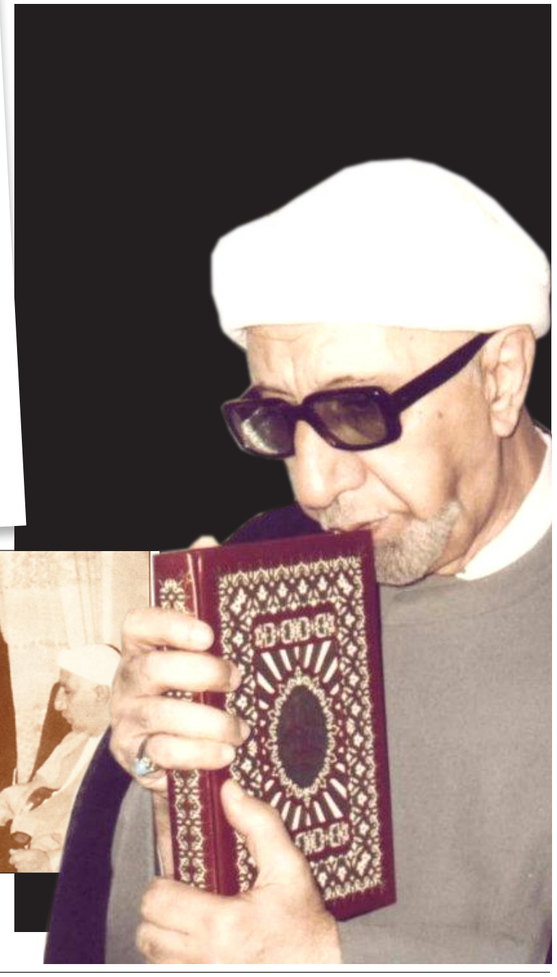

الشيخ احمد الوائلي و الشيخ فاضل المالكي

مع السيد حسين هادي الصدر و السيد مصطفى جمال الدين

الشيخ احمد الوائلي رحمه الله يبارك للسيد عبد الصاحب جمال الدين رحمه لله بمناسبة زواج السيد ياسر مصطفى جمال الدين

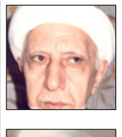

اثناء مناقشة الدكتوراه في القاهرة

مع ابنته في دمشق

مع السيد عبد الله الغريفي في دمشق ١٩٩٨

مع السيد مصطفى جمال الدين في النجف

بعض الصور حصلنا عليها من خلال مجلة الارشيف . ملف خاص عن الوائلي

لقاء مع د. الشيخ أحمد الوائلي:

الإسـلام فكـر ولا خـوف عليـه مـن العولمـة

السيرة الذاتية

– هو الشيخ أحمد بن الشيخ حسّون بن سعيد بن حمود الليثي الوائلي ولد سنة ١٣٤٧ هـ. في ١٧ ربيع الأول في النجف اشتهرت هذه الأسرة في النجف بأسرة آل حرج، وحرج هو اسم الجد الأعلى لها وهو أول من نزح من الغرّاف بلدهم الأصلي وهبط في النجف الأشرف واتخذها موطناً ومسكناً له.

– امتازت هذه العائلة بالثقل العلمي والمكانة المرموقة في تاريخ الأسر النجفية كأسرة آل بحر العلم وأسرة آل كاشف الغطاء وآل الجواهري.

– ولكن الشيخ الوائلي هو الذي جعل اسم أسرته لامعاً بما اكتسبه من شهرة واسعة في خدمة المنبر الحسيني منذ صغره وبنفس الوقت أكمل دراسته حتى حصل على الماجستير في جامعة بغداد ثم أكمل الدكتوراه في كلية دار العوم بجامعة القاهرة، ثم توغل بالدراسة الحوزوية وقرأ مقدمات العلوم العربية والاسلامية على يد أساتذة الحوزة البارزين. وله مؤلفات في الشعر والأدب.

س – العالم يتطور بسرعة كبيرة والمفاهيم تتغير وهو أمر جعل من وسائل الاتصال ونقل المعلومات مصدر خطورة على المفاهيم وعلى الأديان والقواعد الأخلاقية . فهل تعتقد أن هناك خوفاً على أجيالنا من تأثيراتها السلبية؟

ج – ما يدخل إلى الذهن والوعي من غذاء مثله مثل ما يدخل إلى الجسم من غذاء، فإذا كان في الجسم مناعة لا يتأثر بما هو ضار، كذلك جهاز التلقي الذهني يحتاج إلى مناعة تقيه من المؤثرات السلبية.

س – هل تتيح سرعة المتغيرات وصعوبتها، الفرص لبناء مثل هذه المناعة، بمعنى هل العقل البشري محصن إلهياً إلى حد ما؟

ج – العمل على تكوين جهاز المناعة عند المسلم يبتدئ فيما نعتقد من الأسرة، فالمدرسة، فالمجتمع. وأهم هذه الوجوه هو الأسرة. ولا يعني ذلك عدم أهمية الوجوه الأخرى. ولأنطق في أن المسؤول عن التربية الدينية في الأسرة هو المؤسسات الدينية التي ينبغي قيامها بهذا الدور واستخدامها الوسائل التي أتاحها العلم وتوفير الكفاءات له صلة بالشريعة يعلم أنها وافية بكل الحاجات.

س – فما الذي يحصل إذن؟

ج – غاية ما في الأمر أن بعض المذاهب الإسلامية يرى أن هناك مصادر للتشريع بعين الاعتبار إن كل أسرة مسلمة عندها خميرة من النزوع إلى جذورها وتراثها والاعتزاز بأولوياتها.

س – هناك خوف من الفضائيات والإنترنت وسواها من وسائل الاتصال الإلكتروني التي قد توظف ضد الأديان وخصوصاً الإسلام باعتباره خاتمة الأديان؟

ج – الذي يتمم ما سبق هو أسلمة الأدوات المؤدية إلى الهدف كالقناة الفضائية المسلمة، والمادة الإسلامية التي نغذي بها قنوات الاتصال، والمعلم المسلم الرسالي الذي ينبغي أن يوكل إليه تدريس الدين واللغة، أن الأسرة والمجتمع أخذ ومعط فروافد المجتمع هي الأسرة والمدرسة. فإذا تم التركيز عليهما فذلك كفيل بنتائج طيبة. يضاف إلى ذلك ينبغي فتح أعين الأجيال على إفلاس الحضارات الأخرى وعجزها عن ملء الفراغ الذهني عند الإنسان وعن عدم قدرتها على أن تشده إلى قضية محورية يعيش من أجلها وتستهويه وتدفعه لمضاعفة جهده في ذلك. كما يصنع الإسلام في دفع الفرد المسلم إلى أن يبقى ينشد رضا الله عزّ وجّل بكل نشاطه الدنيوي وعمله لما بعد الحياة وهو هدف يظل قائماً ويظل يسعى الإنسان إليه متواصلاً وبذلك ينعدم عنده الفراغ والسأم ويعيش في لذة وسعادة متواصلة.

س – ذكرتم أن التربية الدينية تؤسس جهاز مناعة خلقياً عند الفرد المسلم يحفظه من سلبيات قد يتعرض لها نتيجة تفاعله مع أجواء حضارية غريبة وذلك يستدعي أن تكون في الإسلام إجابات كاملة على معالجة ما يجد من أمور متنوعة فهل هو كذلك؟

ج – أولاً إن طرح مثل هذا السؤال يدل على عدم معرفة الكثير منّا بالمحتوى الحضاري الغزير في الإسلام وأحد أسباب ذلك هو عدم المعرفة. وثانياً إن كل من له إلمام بالشريعة الإسلامية يعرف أنها تحمل الإجابات على ما هو موجود وما قد يوجد من الأمور التي يبتلي بها الإنسان وذلك بداهة إن الله عزّ وجل لا يكلف إنساناً حتى يعرّفه السبيل إلى الاستجابة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن الله عزّ وجل لم يتعبدنا بشريعة ناقصة يمكن أن تعجز عن تغطية حاجاتنا بل أكمل لنا الدين وأعلمنا ذلك بقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم)، ولذا فإن كل من له صلة بالشريعة يعلم أنها وافية بكل الحاجات.

س – فما الذي يحصل إذن؟

ج – غاية ما في الأمر أن بعض المذاهب الإسلامية يرى أن هناك مصادر للتشريع بعين الاعتبار إن كل أسرة مسلمة عندها خميرة من النزوع إلى جذورها وتراثها والاعتزاز بأولوياتها.

س – هناك خوف من الفضائيات والإنترنت وسواها من وسائل الاتصال الإلكتروني التي قد توظف ضد الأديان وخصوصاً الإسلام باعتباره خاتمة الأديان؟

ج – الذي يتمم ما سبق هو أسلمة الأدوات المؤدية إلى الهدف كالقناة الفضائية المسلمة، والمادة الإسلامية التي نغذي بها قنوات الاتصال، والمعلم المسلم الرسالي الذي ينبغي أن يوكل إليه تدريس الدين واللغة، أن الأسرة والمجتمع أخذ ومعط فروافد المجتمع هي الأسرة والمدرسة. فإذا تم التركيز عليهما فذلك كفيل بنتائج طيبة. يضاف إلى ذلك ينبغي فتح أعين الأجيال على إفلاس الحضارات الأخرى وعجزها عن ملء الفراغ الذهني عند الإنسان وعن عدم قدرتها على أن تشده إلى قضية محورية يعيش من أجلها وتستهويه وتدفعه لمضاعفة جهده في ذلك. كما يصنع الإسلام في دفع الفرد المسلم إلى أن يبقى ينشد رضا الله عزّ وجّل بكل نشاطه الدنيوي وعمله لما بعد الحياة وهو هدف يظل قائماً ويظل يسعى الإنسان إليه متواصلاً وبذلك ينعدم عنده الفراغ والسأم ويعيش في لذة وسعادة متواصلة.

س – ذكرتم أن التربية الدينية تؤسس جهاز مناعة خلقياً عند الفرد المسلم يحفظه من سلبيات قد يتعرض لها نتيجة تفاعله مع أجواء حضارية غريبة وذلك يستدعي أن تكون في الإسلام إجابات كاملة على معالجة ما يجد من أمور متنوعة فهل هو كذلك؟

ج – أولاً إن طرح مثل هذا السؤال يدل على عدم معرفة الكثير منّا بالمحتوى الحضاري الغزير في الإسلام وأحد أسباب ذلك هو عدم المعرفة. وثانياً إن كل من له إلمام بالشريعة الإسلامية يعرف أنها تحمل الإجابات على ما هو موجود وما قد يوجد من الأمور التي يبتلي بها الإنسان وذلك بداهة إن الله عزّ وجل لا يكلف إنساناً حتى يعرّفه السبيل إلى الاستجابة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن الله عزّ وجل لم يتعبدنا بشريعة ناقصة يمكن أن تعجز عن تغطية حاجاتنا بل أكمل لنا الدين وأعلمنا ذلك بقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم)، ولذا فإن كل من له صلة بالشريعة يعلم أنها وافية بكل الحاجات.

س – فما الذي يحصل إذن؟

ج – غاية ما في الأمر أن بعض المذاهب الإسلامية يرى أن هناك مصادر للتشريع بعين الاعتبار إن كل أسرة مسلمة عندها خميرة من النزوع إلى جذورها وتراثها والاعتزاز بأولوياتها.

س – هناك خوف من الفضائيات والإنترنت وسواها من وسائل الاتصال الإلكتروني التي قد توظف ضد الأديان وخصوصاً الإسلام باعتباره خاتمة الأديان؟

ج – الذي يتمم ما سبق هو أسلمة الأدوات المؤدية إلى الهدف كالقناة الفضائية المسلمة، والمادة الإسلامية التي نغذي بها قنوات الاتصال، والمعلم المسلم الرسالي الذي ينبغي أن يوكل إليه تدريس الدين واللغة، أن الأسرة والمجتمع أخذ ومعط فروافد المجتمع هي الأسرة والمدرسة. فإذا تم التركيز عليهما فذلك كفيل بنتائج طيبة. يضاف إلى ذلك ينبغي فتح أعين الأجيال على إفلاس الحضارات الأخرى وعجزها عن ملء الفراغ الذهني عند الإنسان وعن عدم قدرتها على أن تشده إلى قضية محورية يعيش من أجلها وتستهويه وتدفعه لمضاعفة جهده في ذلك. كما يصنع الإسلام في دفع الفرد المسلم إلى أن يبقى ينشد رضا الله عزّ وجّل بكل نشاطه الدنيوي وعمله لما بعد الحياة وهو هدف يظل قائماً ويظل يسعى الإنسان إليه

المذاهب هي التوسعة على الناس لتعدد الآراء وعدم حبسهم على رأي واحد فتكون روافد متعددة كلها تؤدي إلى الشريعة.

س – هل هناك وجه آخر لتعدد المذاهب؟

ج – نعم. فإلى جانب الفائدة هناك سلبيات من أهمها التشرذم والتعصب وجعل المذهب غاية لا طريقاً مما يؤدي إلى التمزّق.

س – وهل هناك تضارب في بعض أحكام هذه المذاهب؟

ج – لا أسميه تضارباً، وإنما هو اختلاف في المنهج ووجهات النظر. وقد يؤدي أحياناً إلى التقابل. ولكن إذا عرفنا أن ذلك ناشئ من أمور موضوعية وليست من قصد سيء فإن ذلك يبعث على الاطمئنان ويحض على احترام وجهات النظر ويحمل على سعة الصدر لقبول وجهة النظر الأخرى.

س – هل في أي من الخلاف في أحكام المذاهب، ضرر أو خطر على الإسلام طالما أن أحكام هذه المذاهب ليست منزّهة أو معصومة ولا ترقى إلى عدم الخضوع للمناقشة؟

ج – لا خطر منها ما دام هناك أكثر من رأي وطريق يوصل إلى الإسلام والمسلم إذا تعبد بواحد منها بعد بذل الوسع في الاختيار واستفادة الوسائل السليمة في ذلك أجزّاه ويكون ممتثلاً لحكم الله عزّ وجل. أما المجتهدون أنفسهم فبعد بذل الوسع في استنباط الحكم لهم أجران إن أصابوا حكم الله وإلا فأجر واحد من أجل جهدهم وعنائهم.

العولمة

س – هناك في العالم اليوم ما يُعرف باسم العولمة وهناك ما يسمى بثورة المعلومات . وهناك خوف فعلي من أن يقود النظام العالمي الجديد والدعوات المتزايدة لحرية الأديان وحقوق الإنسان وارتباط العالم بالبريد الإلكتروني، إلى توحيد للأديان لكن ليس وفقاً لما يريده الله وإنما لما يفرضه الأقوياء حماية لصناعاتهم ومصالحهم؟

ج – لا يمكن لكل من العولمة وثورة المعلومات أن تؤدي إلى صهر الأفكار والمعتقدات في فكر واحد. وذلك لأن العولمة تحاول رفع الحدود المادية وثورة المعلومات تطرح أفكاراً جديدة وكل منهما موجود بالفعل يمشي عبر الحدود ولا يرده حاجز. ومع ذلك ما تزال الأديان متعددة والمعتقدات متنوعة. وإنما كل الذي نخشاه هو عدم خلق مناعة علمية وخلقية في الساحة الإسلامية تمنع تأثير الأمور الوافدة. وهذا الأمر يضاعف مسؤولية المؤسسات الدينية سواء الرسمية منها وغير الرسمية. ويجعلها التبعة لتضاعف نشاطها في بناء الشخص المسلم بناءً يوازي حجم المستجدات ويرضي التطلعات خصوصاً ونحن على ثقة بأن محتوى الشريعة فيه ذخيرة لا تنفد لتغذية الأجيال فلم يبق إلا البحث في كنوز الشريعة وإعداد كوادر علمية مؤهلة ومنتجة لسد الحاجة وان تكون مؤسساتنا الدينية مراكز بحث وتطوير وإعداد كفاءات وليست مؤسسات للارتزاق على حساب ديننا.

س – المسلمون اليوم في وضع لا يحسدون عليه، متفرقون مشتتون، مختلفون في مصالحهم ومواقفهم، لكن هل هناك خوف على الإسلام بسبب ضعف المسلمين؟

ج – الإسلام فكر والفكر لا خوف عليه إنما الخوف على المسلمين الذين يتعرضون إلى مخططات لإبعادهم عن الإسلام بوسائل شتى أو تركهم لا يعرفون من الإسلام إلا مظاهر جوفاء. أما مضمون الإسلام فيفرغ من محتواه. وهذا الأمر يعيش على الساحة عند جميع المذاهب الإسلامية مما يؤسف له أشد الأسف مما جعلنا نرى المسلم الشكليات. لا المسلم الموقف والرجولة والعطاء وصدق العقيدة وغير ذلك مما هو من مقومات الإسلام الصحيح.

س – ألم يحن الوقت لحوار حقيقي بين الأديان؟

وهل يمكن أن يكون لخطوة من هذا النوع جدوى في التقريب في وجهات النظر وتقليل التنافر العرقي وصراع الأقليات والتركيز على التعاون في مواجهة تحديات العصر مثل الأوبئة والفقر والتلوث وسواها؟

ج – لعل الإسلام يعتبر مجلباً للدعوة والحوار بين الأديان وذلك لأن الإسلام يقف على قاعدة صلبة لما فيه من أسس متينة ومتطورة ومستوعبة لحاجات كل العصور. (وما أرسلناك إلا كافة للناس) ولأنه يرى ويعلم أن الأديان. وأقصد بها الأديان السماوية هي في أصلها، كلها روافد من السماء ولكل دين دوره وعهده في أداء رسالته وقد ختمت بالإسلام حيث ما هو من الثوابت قد جمعه الإسلام وما هو من المتطورات قد حمله ونبه الأذهان إليه. (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) من هذا المنطلق وهو استيعاب الإسلام للثوابت وغير الثوابت في الأديان الأخرى، انطلق الإسلام يدعو إلى الحوار، (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا) ولم ينطلق من فرض انه الوحيد وغيره مرفوض بل فتح الأبواب لصراع الأفكار وفق الأصول حتى تنتهي إلى ما هو الحق. (وأنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين). وبناء على ذلك فلا خشية من أن يدخل الإسلام أو ينهزم في أي حوار شرط أن يكون المحاورون موضوعيين ومؤهلين للحوار لوجود أرضية علمية عندهم. وإذا استكمل الحوار بشروطه الموضوعية فلا شك في جدواه. إن الإنسانية قد تعبت في بحثها عن الأفضل وعلينا أن نبحث في دفائن ديننا من الكنوز لنقدمه زاداً للإنسانية وقل اعملوا.. إلخ.

حوار الحضارات

س – يروج البعض لمخاوف من احتمال اقتعال العرب والمسلمين حرباً ضد الحضارة الغربية، ويقال أن دوافع إقامة المشروع الأميركي الجديد المعروف باسم استراتيجية درع النجوم أو وليد حرب النجوم، تنبع من أوهام مثل هذه، ما رأيك؟

ج – منذ ولد الإسلام حرص أراءه مقابل المفردات الحضارية المنوعة عند كل الأمم وأعلن موقفه فيما يقبل منها وما يرفض. وفي خصوص الحضارة المسيحية سواء في الغرب أو غيره يقف منها موقفاً يختلف. فإن كانوا مواطنين يترك لهم حرية البقاء على دينهم بشرط التزامهم بشروط تحقق المواطنة السليمة وتوازن بين حقوقهم وحقوق الدولة الإسلامية. وإذا كانوا خارج الدولة الإسلامية فهم حتى ولو كانوا كفاراً محاربين فلولي أمر المسلمين مهادنتهم إذا كانت المصلحة في ذلك. وهناك أحكام تحدد علاقة المسلمين بغيرهم وتنسم بالإنسانية في أعلى صورها ولا يخرج الإسلام عن هذا الإطار إلا إذا وضع في حالة الدفاع عن النفس أو عن الدين. فدعوى هؤلاء انهم يخشون من الإسلام مثل باقي ما يدعونه عن حظر الإسلام والأصولية. والحقيقة أن المحارب والمحاصر هو الإسلام الذي اخترعوا عشرات العناوين المبررة لمحاربته. وفي التاريخ مرايا صادقة تعكس ممارساتهم مع الإسلام والمسلمين. إنني هنا ألفت نظر الباحثين وطالبي الحقيقة إلى الرجوع إلى التلمود وللحرب الصليبية وتاريخها نظرياً وتطبيقياً وكذلك الرجوع إلى حروب القرون الوسطى وما جرى في الأندلس، ثم الرجوع إلى كتب التاريخ الإسلامي وكتب الفقه الإسلامي في باب الجهاد للتعرف على من يشكل الخطر على الحضارات ويريد نفي الآخر. إن شعار الإسلام (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) هذا الطرح المفتوح حتى يتم الوصول للحقيقة.

س – دفعت التطورات العلمية الجديدة والاكتشافات الطبية المذهلة مثل الاستنساخ وسواه، إلى بروز تحديات كبيرة للأديان وخاصة أمام الإسلام، فهل أغفل الدين الحنيف مثل هذه الأمور، أم أن في بيان نصوص القرآن الكريم والفقه ما يتعامل مع كل حالة على حدة بنفس المنطق الرباني العظيم الذي يعالج به الرحمن الأمور الأخرى؟

ج – لا أسمي أمثال هذه الأمور التي ذكرتها تحديات بل هي أمور ألهم الله تعالى بها الذهن البشري وأقدره عليها على أن يتحرى بها خدمة الإنسان لا ضرره. وهذه الأمور تشكل موضوعات غطتها أحكام الشريعة وهي جميعها عالجها الفقه الإسلامي وتناولها فقهاء المسلمين تفصيلاً وأعني بهم الفقهاء المعاصرين، لأنها أمور حدثت متأخرةً ومن بعض هذه المصادر التي تحضر ذاكرتي إتماماً للفائدة وللتدليل على أن الإسلام يتسع في نصوصه وقواعده لكل ما يمر على الدنيا من أمور ستكون موضع ابتلاء الإنسان: شرح عهد الإمام علي لمالك الأشتر – توفيق الفكيكي، الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، منهاج الصالحين للسيد الخوئي (قدس سره)، الفقه للمغتربين للسيد علي السيستاني (دام ظله)، الاستنساخ للسيد سعيد الحكيم (دام ظله)، عقليات إسلامية للشيخ محمد جواد مغنية (طاب ثراه)، فقه أهل البيت للسيد محمود الهاشمي (دام ظله)، المذاهب الإسلامية للشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي (دام مسددا)، بحوث في الفقه المعاصر للشيخ حسن الجواهري (دام ظله) ومستحدثات المسائل للسيد الخوئي (قدس سره).

دولة إسلامية

س – ما هي فرص قيام دولة إسلامية كبرى في العالم؟ وهل هي ضرورة أم إن الله عزّ وجل كفيل بأمر صيرورة الدنيا قبل قيام الآخرة؟

ج – فرص قيام دولة إسلامية عامة ليس بمستحيل عقلاً ولا ممتنع ذاتاً ولكن له شروط لابد من توفرها، وهي تحتاج عادة إلى زمن طويل كان عنصر الزمن دخيل في تكوين الأشياء بحسبها. والدولة الإسلامية مرة تكون إسلامية عقيدة وأحكاماً لابد من تطبيقها والناس فيها من المواطنين المسلمين الملتزمين بالعقيدة والأحكام، وأخرى قد تكون محكومة من قبل المسلمين وأهلها ليسوا كذلك بل في الأديان كالمسيحيين واليهود والمجوس وحتى الصابئة أي من لهم كتاب وشبه كتاب. ولكل منها تفاصيل استوفاها الفقه الإسلامي. غالباً في باب الجهاد من كتب الفقه. وكما ذكرت إن قيامها يبقى مفتقراً إلى شروط لابد من تحققها وعنى أضرب لك مثلاً واحداً: هو اللغة العالمية الاسبرنتو التي أريد لها أن تختصر الحواجز وتجمع الناس على وسيلة موحدة للتفاهم، وإلى الآن والفكرة في مكانها لم تتحرك مع أنها محبوبة للنفوس ولا تشكل ضرراً للأمم أو الأفراد اللهم إلا ما يرتبط باعتزاز كل أمة بلغتها فكيف يكون الأمر بالنسبة للعقائد والشرائع؟

س – هناك أيضاً لغط عن موقف الإسلام من مفهوم الديمقراطية فهل الإسلام ضد نظام مثل هذا تطالب به أغلبية البشرية الآن؟

ج – إذا تحدثنا عن موضوع الديمقراطية وتفاصيلها وخصوصاً موقف الإسلام من الديمقراطية بمعناها المصطلح فإن المسلم من الناحية العقيدية والناحية التشريعية ملزم بالعمل بما شرعته السماء، أو من ناحية التطبيق وذلك بأن تحكم الأمة نفسها بنفسها فهذا يتم على نحوين من التصور في هذه الفترة: النحو الأول أن يتولى الفقيه بما له من ولاية عامة حكم الأمة وفق قوانين الله عزّ وجل وذلك له تفصيل موسع في كتب الفقه. والنحو الثاني كما يذهب إليه البعض أن الأمة لها ولاية على نفسها فتنتخب من (دام ظله) ومستحدثات المسائل للسيد الخوئي (قدس سره).

دولة إسلامية

س – ما هي فرص قيام دولة إسلامية كبرى في العالم؟ وهل هي ضرورة أم إن الله عزّ وجل كفيل بأمر صيرورة الدنيا قبل قيام الآخرة؟

ج – فرص قيام دولة إسلامية عامة ليس بمستحيل عقلاً ولا ممتنع ذاتاً ولكن له شروط لابد من توفرها، وهي تحتاج عادة إلى زمن طويل كان عنصر الزمن دخيل في تكوين الأشياء بحسبها. والدولة الإسلامية مرة تكون إسلامية عقيدة وأحكاماً لابد من تطبيقها والناس فيها من المواطنين المسلمين الملتزمين بالعقيدة والأحكام، وأخرى قد تكون محكومة من قبل المسلمين وأهلها ليسوا كذلك بل في الأديان كالمسيحيين واليهود والمجوس وحتى الصابئة أي من لهم كتاب وشبه كتاب. ولكل منها تفاصيل استوفاها الفقه الإسلامي. غالباً في باب الجهاد من كتب الفقه. وكما ذكرت إن قيامها يبقى مفتقراً إلى شروط لابد من تحققها وعنى أضرب لك مثلاً واحداً: هو اللغة العالمية الاسبرنتو التي أريد لها أن تختصر الحواجز وتجمع الناس على وسيلة موحدة للتفاهم، وإلى الآن والفكرة في مكانها لم تتحرك مع أنها محبوبة للنفوس ولا تشكل ضرراً للأمم أو الأفراد اللهم إلا ما يرتبط باعتزاز كل أمة بلغتها فكيف يكون الأمر بالنسبة للعقائد والشرائع؟

س – هناك أيضاً لغط عن موقف الإسلام من مفهوم الديمقراطية فهل الإسلام ضد نظام مثل هذا تطالب به أغلبية البشرية الآن؟

ج – إذا تحدثنا عن موضوع الديمقراطية وتفاصيلها وخصوصاً موقف الإسلام من الديمقراطية بمعناها المصطلح فإن المسلم من الناحية العقيدية والناحية التشريعية ملزم بالعمل بما شرعته السماء، أو من ناحية التطبيق وذلك بأن تحكم الأمة نفسها بنفسها فهذا يتم على نحوين من التصور في هذه الفترة: النحو الأول أن يتولى الفقيه بما له من ولاية عامة حكم الأمة وفق قوانين الله عزّ وجل وذلك له تفصيل موسع في كتب الفقه. والنحو الثاني كما يذهب إليه البعض أن الأمة لها ولاية على نفسها فتنتخب من يحكمها وفقاً لمشتهى الشعب. ولكن ما ينبغي الإشارة إليه إنه كل الحقوق التي كفلها الإسلام للفصيلين الذكور والإناث إنما هي متصلة ومربوطة بفطرة كل منهما.

فالمسألة إذاً مسألة تصنيف لا مسألة تفضيل. إن بين الرجل والمرأة عشرات من الفروق النفسية والجسدية والاجتماعية، ولكل منها حسابه الخاص. أما من حيث المنشأ والخلقة فكل منهما عمد من أعمدة التكوين يقول تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى).

ويقول تعالى: (الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها)، ويقول النبي (صلى الله عليه وآله): (النساء شقائق الرجال). فالأمور التي تنعدم فيها الفروق بين الصنفين هما فيها سواء كحق التعليم، والنفقة المالية، وحق التكريم.. إلخ.

أما الحقوق التي لا يمكن المساواة فيها كحق التعدد للرجل الذي شرعه الإسلام لتغطية بعض الحالات فلا يمكن المساواة فيه ومثل الأمور التي ترتبط بغزارة الجانب العاطفي عند المرأة وتكليف الذكر ببعض الأمور التي ترتبط بتكوينه العضلي فالإسلام يفرق بينهما. وبالجملة كل حق مشروع ينسجم مع الخلق الكريم والفطرة السليمة أعطاه الإسلام للمرأة ومنعها مما يفسد فطرتها ويهين انوثتها وصدق الله العظيم: (أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى).

إن الإسلام كفل المرأة في كل حالاتها. كأم وزوجة وبنت. وكرّم مقامها وجعل الجنة تحت أقدامها، وقدم حقها كأم على حق الأب على رأي كثير من الفقهاء فأوجب تقديم ما تأمر به على ما يأمر به الأب لو تعارض الأمران، وجعل لها ثلاثة أرباع الحق في الولد وللأب ربعاً وأعطاها أجر الشهيد إذا ماتت أثناء الولادة وأعطاها ما لا يتسع ذكره هنا.

س – وما موقف الإسلام من قضية حقوق الإنسان التي باتت مسألة حيوية تقيم الشعوب والأمم والأديان على مدى التزامها بها؟

ج – موقف الإسلام من حقوق الإنسان واضح. فلا اعتقد أن هناك شريعة كفلت حقوق الإنسان كالشريعة الإسلامية. فالإنسان كل الإنسان موضع تكريم الله عزّ وجل: (ولقد كرّمنا بني آدم)، يقولها القرآن الكريم ويقول الرسول الكريم في خطبته في حجة الوداع: وقد سأل الصحابة (رضوان الله عليهم) أي يوم هذا؟ قالوا: أعظم الأيام. وأي شهر هذا؟ قالوا أعظم الشهور. وأي بلد هذا؟ قالوا أعظم البلدان. وأي بيت هذا؟ قالوا: أعظم البيوت، قال إن حرمة المؤمن أعظم عند الله من بيتكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا... إلخ.

ولقد قال النبي (صلى الله عليه وآله): (الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره). ويقول الإمام علي (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر: (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو شريك لك في الخلق). الناس سواسية كأسنان المشط، وقد أفاضت كتب التاريخ والسيرة في تفصيل تطبيقات ذلك بما لا يسعه هذا المختصر. وأرجو أن نفرق بين الإسلام وبين بعض المسلمين الذين ينبغي أن لا تحسب تصرفاتهم على الإسلام بل لابد من الاقتصار على ما رسمه التراث ورسمته السنّة النبوية ورسمه خلفاء النبي حقاً.

س – الأمر الآخر المثير للجدل هو الفهم الخاطئ من قبل البعض لموقف الإسلام من حقوق المرأة، فما هي الحقيقة في هذا المجال؟

ج – لا سبيل إلى الإفاضة في أمر مثل هذا. لأن الإسلام أكرم المرأة بما أراده الله لها وليس وفقاً لمشتهى البشر. ولكن ما ينبغي الإشارة إليه إنه كل الحقوق التي كفلها الإسلام للفصيلين الذكور والإناث إنما هي متصلة ومربوطة بفطرة كل منهما.

فالمسألة إذاً مسألة تصنيف لا مسألة تفضيل. إن بين الرجل والمرأة عشرات من الفروق النفسية والجسدية والاجتماعية، ولكل منها حسابه الخاص. أما من حيث المنشأ والخلقة فكل منهما عمد من أعمدة التكوين يقول تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى).

ويقول تعالى: (الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها)، ويقول النبي (صلى الله عليه وآله): (النساء شقائق الرجال). فالأمور التي تنعدم فيها الفروق بين الصنفين هما فيها سواء كحق التعليم، والنفقة المالية، وحق التكريم.. إلخ.

أما الحقوق التي لا يمكن المساواة فيها كحق التعدد للرجل الذي شرعه الإسلام لتغطية بعض الحالات فلا يمكن المساواة فيه ومثل الأمور التي ترتبط بغزارة الجانب العاطفي عند المرأة وتكليف الذكر ببعض الأمور التي ترتبط بتكوينه العضلي فالإسلام يفرق بينهما. وبالجملة كل حق مشروع ينسجم مع الخلق الكريم والفطرة السليمة أعطاه الإسلام للمرأة ومنعها مما يفسد فطرتها ويهين انوثتها وصدق الله العظيم: (أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى).

إن الإسلام كفل المرأة في كل حالاتها. كأم وزوجة وبنت. وكرّم مقامها وجعل الجنة تحت أقدامها، وقدم حقها كأم على حق الأب على رأي كثير من الفقهاء فأوجب تقديم ما تأمر به على ما يأمر به الأب لو تعارض الأمران، وجعل لها ثلاثة أرباع الحق في الولد وللأب ربعاً وأعطاها أجر الشهيد إذا ماتت أثناء الولادة وأعطاها ما لا يتسع ذكره هنا.

الوائلي في الاربعينات

الحوار نشر في مجلة الشاهد السياسي التي تصدر في لندن 1998

فلسطين في شعر الوائلي

د. حاتم الساعدي
باحث اكاديم

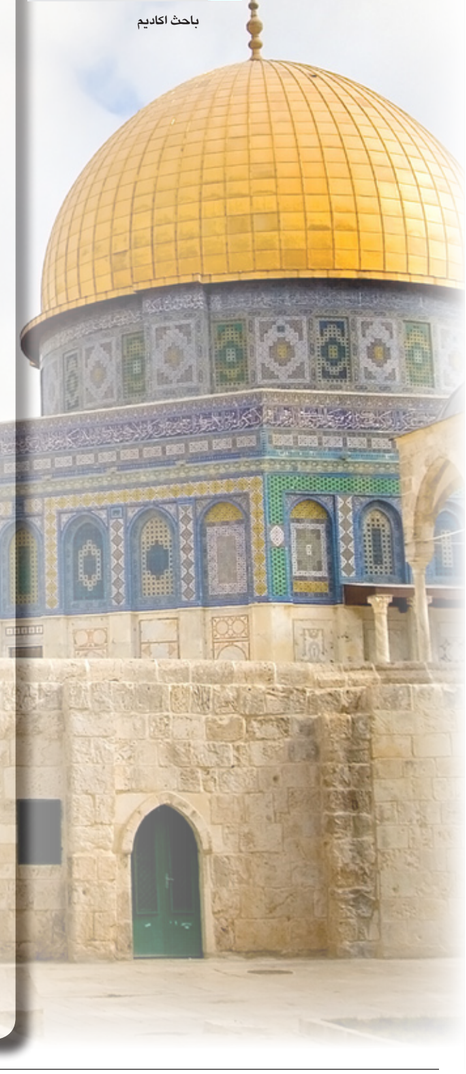

ليس ربط العمل الأدبي باهداف اخلاقية او تعليمية او سياسية، او بمعتقدات دينية حديثاً، وانما هو قديم كقدم الأدب نفسه، إذ استخدمه ادباء اليونان ونقادهم امثال الشاعر الكوميدي (ارستوفان) الذي استخدم مسرحيته (الضفادع) للموازنة بين كبار شعراء التراجيديا اليونانيين امثال (ايسكيلوس ويوروبيدس) مفضلا الأول على الثاني، منطلقا من المعتقدات الدينية والاجتماعية التي تقف الى جانب تقديس المفضل للالهة، وضد ابعاد (يوروبيدس) مسرحه عن الدين والالهة.

ومن القدماء، الذين ربطوا العمل الادبي بالاهداف المذكورة (هوراس) الذي قال "يهدف الشعر إما الى الفائدة او المتعة، او الى جمع المتعة والفائدة معاً".

اما في عصر النهضة فابرز عمل ربط به صاحبة العمل الشعري بهدف اخلاقي قد صدر عن الانكليزي (فيليبي سدني) في كتابه "دفاع عن الشعر" او "اعتذار عن الشعر" الذي دار في اطار المفهوم الكلاسيكي للشعر كما قال به ارسطو، إلا انه لم يقف عند المفهوم الفني للشعر فقط، كما كان لدى ارسطو إنما ربطه بوظيفة اخلاقية. فالشعر لدى سدني في كتابه المار الذكر "محكاة هادفة". والشعر الذي لافائدة له ولا هدف لا قيمة له.

واني بعد سدني اخرون امثال بيرك و(نيومان) ثم ماثيو ارنولد، ناقد العصر الفيكتوري.

واما النظريات الادبية التي امنت بالايديولوجيات، اي "المواقف المحددة المتسقة" فهي "نظرية التعبير" و(نظرية الانعكاس).

فالنظرية التعبيرية قد امنت بالفرد، ولاسيما العبقري، وقالت بحريته الشخصية، حتى اصبح ذلك الايمان جزءاً من ايديولوجية الطبقة البرجوازية التي في المسار الادبي تأثيراً كبيرا على صعيد الموضوعات والاساليب والاهداف.

وامنت نظرة الانعكاس بالفكر الاشتراكي العلمي. وطالبت الاديب بان يحمل همموم طبقته، وان يجعل همومه جزءا من تلك الهموم، وان ينظر الى الادب على انه انعكاس للمواقع الاجتماعية يتأثر به ويؤثر، ويتفاعل معه بصورة متحركة دائمة.

واذا كان ادبنا العربي القديم لم يشترط الالتزام بغاية اخلاقية او اجتماعية معينة، بل كان ينتهج المقاييس الفنية البعيدة عن الاهداف الدينية والتعليمية، فإن بعض شعرائنا المحدثين، اختطوا سبيل الالتزام اما بسبب تأثرهم بالتيارات الاجنبية، واما نتيجة لاجتهادهم الخاص، الذي الزمهم الاصطلاع بالمسؤولية الملقاة على عاتق الاديب، تلك التي يراها البعض مسؤولية شرعية. فالانسان – كما يرى عدد من النقاد والشعراء المحدثين – خليفة الله في ارضه، ومهمة هذه الخلافة تلزم الانسان ان يوظف نشاطاته في سبيل الله، ومن اجل الدعوة لما أمر به سبحانه. ولما كان الادب شكلا من اشكال النشاط الانساني، كان حقيق على الانسان ان يوظفه لخدمة تعاليم السماء. فالفن – كما يقولون – "من وجهة نظر الاسلام هو الابداع البشري الهادف الجميل الذي يرتفع بروح الانسان باتجاه المثال التقي مبتعدا عن اوحال الارض وشرورها".

ويظهر ان شاعرنا الوائلي واحد من الشعراء الذين وظفوا شعرهم لخدمة دينهم وامتهم دابين عن تراث تلك الامة وترابها وقيمها، راجين لها ان تعيش سليمة من الدنس بعيدة عن الاستغلال والسيطرة الاجنبية. ولا مراء في ذلك إذا ما لمسنا ان الكلمة الشعرية – في منظاره – ليس افرازاً عاطفيا فحسب، بل "إذا احسن توظيفها في مسارها الايدولوجي.. ثمرة لمعاناة مقصودة ذات هدف محدد". ولا غرو فيه إذا ما سمعنا اجراس ذلك الشعر تقرع بين الفينة والاخرى داعية للتصدي للمهمات ومنازلة الارزاء، ولاستعذاب الموت من اجل الاهداف الكريمة والغايات النبيلة.

إذ كيف لا وهو ممن يقولون بان الادب تعبير عن المجتمع، وانه المرآة المصورة لكل "مايخوضه من معارك ومن نضال وكل ما يتصل به من قضايا سياسية واقتصادية".

ومن ثم الفيناه يرفض شتم الخطب والتباكي امامه، ويدعو للتصدي له ولمحاولة اخضاعه، من اجل الحياة والمجد الذي يحتقر الجبناء، قائلا:.

لا تشتمن الخطب او تبكي له
فالخطب ليس بمثل ذلك يدفع
فلقد شتمنا الرزء حتى اتخمت
اذانه والرزء باق مزمع
لكن تصد له فان اخضعته
تحيا وان خفت المسمات ستخضع
فالمجد يحتقر الجبان لانه
شرب الصدى وعلى يديه المنبع

والفيناه متتبعا مسار الشعر وواعيا دوره التاريخي وما ألحق بالطغاة الظالمين، منشدا:

فالشعر اججّ الف نار وانبرى
يلوي انوف الظالمين ويخدع
مفيدا بانه يستطيع في كل وقت تحقيق الاهداف الكبار إن شاء، وان احسن استخدامه.

وهذا بعض قوله:

لو شاء صاغ النجم عقدا ناصعا
يزهو به عنق ارق وانصع
او شاء رد الرمل من نفحاته
خضلا بانفاس الشذى يتضوع
او شاء قاد من الشعوب كتائبا
يعنو لها من كل افق مطلع

والفيناه يرفض انزواء الشعر وخروجه من ساحات الكفاح، وانشغاله في خدمة المترفين، وتلطيف اجواء انسهم وسمرهم الباطل، مردداً.:

انا لا اريد الشعر إن جدت با
نوب يخلي ماعناه ويقبع
او ان يوشي الكأس في سمر الهوى
ليضاء ليل المترفين فيسطع

مناشدا إياه ان يكون سيفا ومجداً:

لكن اريد الشعر وهو بدربنا
مجد وسيف في الكفاح وادرع
وان يكون (رائدا.. وفكراً):
إنا نريدك والامانى جسدت
بك رائداً يبني وفكراً يبدع

وهكذا كان شاعرنا يقدر دور الكلمة ويقول بضرورة توظيفها لاداء رسالتها، في الوقت الذي يؤكد فيه الجانب الفني واهميته والعقوبة وعدم التكلف والعزيمة والثقافة والاهمية هذه المسميات في الشعر، منتهياً الى "ان تغليب الجانب الفني على الجانب الرسالي او العكس إنما يحدده التاكيد (كذا) على احد الجانبين دون ان يطمس هذا التأكيد معالم الجانب الأخر".

فلسطين والتزام الوائلي :

اذا لم يغفل شاعرنا الوائلي رحاب القدس وارض فلسطين في قصيدته (رسالة الشعر) التي تحدث فيها عما يجب ان يضطلع به الشعر من دور قيادي وجهادي وتوجيهي، فانه لم يقف عند هذا الحد، وانما تناول فلسطين في اكثر من مناسبة وكتب فيها اكثر من قصيدة.

وان كان في قصيدته المذكورة قد عد فلسطين زاوية من زوايا معاناته، وهدفا من اهداف شعرنا الكبار، مشيرا الى ما يتعرض له في قوله:

هذي رحاب القدس منذ ترسخت
صرعى الى زعقاتنا تتسمع
تصحو على نوء فتتلع جيدها
وتراه من خدع السحاب فتهطع

فانه في ديوانه – الذي كانت قصيدة "رسالة الشعر" من بين ما نشر فيه – قد كتب ثلاثة قصائد في فلسطين هي: "من وحي النكسة" و"حديث فلسطين" و"العمل الفدائي". خاض فيها عددا من الموضوعات منها: الشعب الفلسطيني وتشرده والصهاينة وحقيقتهم،وما صدر عنهم، وفلسطين واهميتها وكونها التربة التي نبت فيها الانبياء. ودور الحاكم العرب والمسلمين ازاء ما تعرضت له فلسطين، والمطالبة بالثورة والفداء من اجل الكرامة والنصر.

معاناة الشعب الفلسطيني:

إذا تحركنا مع الوائلي ابتداءاً من تصويره للشعب الفلسطيني وما تعرض له من ويلات خلال المدة الطويلة التي جثم فيها العدو الصهيوني على كاهل فلسطين، وجدناه يبرز اوصاب هذا الشعب ويعرض جراحاته، منتقلا من عطاء ارض فلسطين المتجسد بزهو كرومها ورفيف سنابلها وغناء اطفالها وسكر حضائرها وربوعها، ومنافستها لجنان الخلد في العطاء وفي تضوع انسام السعادة والرخاء، منتهيا الى ان كل ذلك امسى من نصيب اليهود في قوله:

تفجر خيراتها لليهود
ومن حولها اهلها ترمق

ولم يقف شاعرنا عند هذا الحد، لأن العدو لم يكتف بامتلاك الارض، ولم يرضه ان يبقى الشعب المظلوم يتوسد تراب ارضه الطاهر، وان عاش على الطوى، بل اضاف الى جوعه وغربته الوطنية، التشريد والخسف والهوان، فيبوتات هذا البلد:

مشردة للطوى والذبول
وللنائبات وما يطرق
وللذن ينهش في الكبرياء
وللهم يحنى له المفرق
ونطق الأسى في عيون الصغار
وان لم يقولوا ولم ينطقوا

ونتيجة لكل ذلك اضلاع النساء وقلوبها ملجأ للاسى، وخدورها ماتما للنوح. إذ كيف لا والسؤال الحائر في عيون الاطفال وعلى شفاههم "أمّاه ابن ابي المشفق" يحتاج الى جواب.. وكذلك:

وابن اخي ولداني واين
ملاعب داري التي اعشق
لماذا انام بهذي الخيام
وخدي على الترب لايرفق
وامي بجنبي تئن الدماء
من صدرها واخي يشهق
لماذا يسممون اللاجئين
أليس لنا وطن مسبق

إذ كيف لا؟ واطفال فلسطين قد اغلقت امامهم الحياة – نتيجة لما سادها من جور وظلم – ابواب السعادة، واذوت من ربيع حياتهم كل ازاهير البشرو الهناء، بعد ان حرمتهم من كل شيء، وضنت عليهم حتى في رؤية ابائهم الذين كانوا سوحا لتحقيق امالهم واحلامهم، بل بخلت عليهم حتى في الحصول على لحظات من الكرى التي يأملون ان يمدوا خلالها جسور الاتصال بابائهم. ومن ثم كانت حال الطفل الفلسطيني وكان نداؤه:

أبي كم نشدت الكرى كي اراك
ولكن عيني ابى تأرق
تعال ابي، ويذوب الصغير
وعيناه بالدمع تغرورق

ولم ينفك الوائلي يلاحق مواطن اللوعة والحسرة والذبول والفناء التي يتعرض له الشعب الفلسطيني، نافضا تراب التغاضي والتعامي عن عمق جراحاته، ففي قصيدته (من وحي النكسة) وضع لمساته على صور متعددة: للشهداء وتوديعهم للحياة، وللاطفال وما يلاقون والجرحى وما يفرزون والامهات وما يكابدن قائلا:

فهنا يبعث الانين جريح
وهنا يلفظ الحياة شهيد
وهنا طفلة وطفل يتيم
والأسى والحرمان والتشريد
وبقايا أم برتها الرزايا
ببقايا حطام روح تجود

وعلى الرغم من كل ما يجري فالشاعر امل في النصر:

بني رويداً فلابد ان
ترد السهام لمن فوقوا
ونصنع فجراً سخي الضياء
ومجاً على دمنا يبق

سهام الشاعر

لايخفى على من امعن النظر منصفاً وارهف السمع وهو حصيف، ان ما يدور على تراب فلسطين هو حرب مصيرية بين شعب شرعي الوجود مهضوم الحقوق، منتهك الحرمات وبين شرذمة باغية ناصرها الباطل وشجعها التخاذل ودعمتها الخيانة.

وإذا كان شاعرنا قد صور بعض جوانب القتلى والتشريد التي تعرض ويتعرض لها هذا الشعب، وكؤوس الالام التي يتجرعها ابناؤه كل يوم، فانه قد ازال – فيما كتبه – الستار عن حقيقة هذه الشرذمة الباغية، وعن اسباب جبروتها مفيدا بان ولادتها وان زكتها قوى الاستعمار الظالم فهي محرمة، وان انتصارها وان تحقق في شوط او اكثر فهو الى الفشل وهي الى الخيبة.

وهذا بعض قوله:

إنه صهيون يا ولادة بغي
ابواها خيانة واجتراح
إذ وضعاً ولدت فيه وإن زكاه
حكم القوي فهو سفاح
خفضي التيه لايفرك عرس
انت فيه فقد يليه نياح
كل شوط فيما علمنا سجال
لم تدم فيه خيبة او نجاح
سيدوس الصمود غطرسة البغي
وتعنو تلك الوجوه الوقاح

وإذا كانت سهام الوائلي قد وجهت الى الصهاينة وعرتهم مما يتسترون به من زيف، فانها صوبت كذلك الى بعض الحكام، الذي تحولت مهماتهم ومسؤولياتهم من حماية الوطن والحفاظ على ترابه وشرفه، الى التفنن في قتل الشعوب وسرقة حقوقها وتكبيل حريتها، وبناء ابراجهم من دمها وعرقها، مما اضطر شاعرنا الى ان يسمهم بـ (رفات الرجال) والدواهي التي المت بالشعوب، وبالسارقين والقتلة، ويرميهم بالبلادة والحمق مرددا:

افادتنا بارفات الرجال
وياجيفا نتنها يخنق
ويانوبا ما اصاب الشعوب
كأمثالها نوب تمحق
وبابلها ما اضاع الحقوق
انفه منه ولا احمق
وياسارقين ولم يقطعوا
ويا قاتلين ولم يشنقوا

وحمله على ان يكشف بعض اوراقهم: كأستسادهم على ابناء جلدتهم وتخاذلهم امام الاعداء، و(تزئيق) افكارهم وتلونها، والانشغال بالقول دون الفعل وبالخيال دون الواقع، مما ارساهم وبلادهم وشعوبهم على ما وصلوا اليه من نتائج مؤلمة ومواقع متخلفة، وهذا بعض قوله:

فيا من على شعبهم افة
ويامن على خصمهم انيق
ويامن تعود لعق الجراح
متى يؤلم الجرح من يلعق
ويا من تزئبق في فكره
متى عرف المبدأ الزئبق
ركبتم بنا سابحات الضجيج
فالتراب انتم ومن صفقوا

وفي قصيدته (العمل الفدائي) يطالب الحكام بالصراحة وبالصدق والاخلاص في العمل بعيدا عن الاقتراحات والمهاترات الفارغة، ويناشدهم بان لا يثيروا ضباب الغموض في دروب الشعوب، مفيدا بان العربي كان ولايزال مارداً مقداماً ذا عزم عال وهمة كبيرة، بيد ان ما وضع في دربه من عراقيل، وحول قضيته من خداع ومتاجرات هو الذي وصل به الى هذه الحال. فالشاعر بعد ان يخاطب الحكام قائلا:

إيه يا قادة السفين اما ان
بأن ينطق الكلام الصراح
والوغى تصطلي وهذي عرانا
واقع قائم ونحن اقتراح

ينتقل الى تصوير العربي، داعياً الى ابعاد الوعود الكاذبة الخداعة عن ساحته، والى وضعه في جادة الحقيقة، للاضطلاع بمهمته بنفسه قائلاً:

عربي ملء الزمان وعزم
يتلظى وصاهل نفاح
وهو اليوم مثلما كان
بالامس هدير مزمجر وطماح
غير ان الضباب سد عليه
الدرب فاستبهمت به الاشباح
فضعوا خطوه على واقع الدرب
اشوك بدربه ام اقاح
واريحوه من خداع وعود
وسمتها بالكذب حتى سجاح

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2554)
السنة التاسعة
الخميس (2)
اب 2012

بعد ان استعرضنا بشكل مقتضب فيما يخص النجف الاشرف من التسمية ومروراً بطبيعة بيئة النجف الأشرف بمختلف المحتوى، وبيئة النجف العلمية والادبية، والمكتبات العامة والخاصة في النجف الأشرف، لكونها الدعامة المهمة للعلم والأدب، والبيئة النجفية وعلاقتها مع المحيط الخارجي، والبيئة النجفية ودورها في توحيد الأمة. يتطلب ربط ما نقدم بتنشئة الشيخ الوائلي ومسيرته العلمية والإصلاحية والبناء والوحدوي للأمة والإنسانية، وركن وركيزة ذلك المهم إلا وهو ارتقاءه للمنبر الحسيني، واثره في ذلك واثر البيئة النجفية على بناء شخصيته الحياتية والعلمية، والتفاعل المشترك بين الفطرة والمكتسب، حتى انصف خطه وسمي بمدرسة الشيخ الوائلي.

البيئة النجفية والشيخ الوائلي

هاشم حسين ناصر
باحث في جامعة الكوت

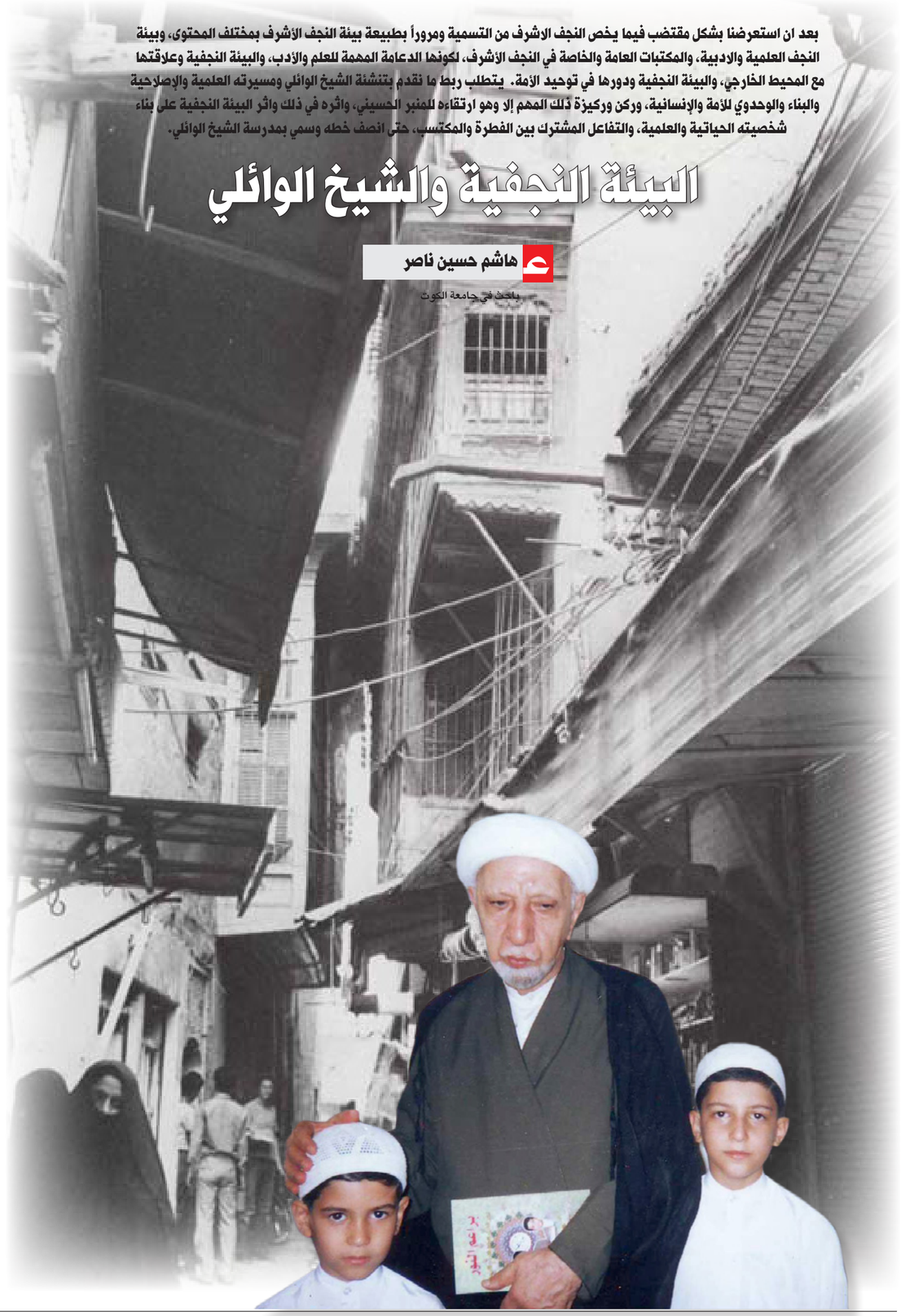

لذا سيكون على وفق ما يقتضيه محدودية البحث، محاور هذا البحث كالاتي:

اولا: لمحات من تنشئة وسيرة الشيخ الوائلي.

ثانيا: البيئة النجفية والتفاعل الداخلي المعاصر لحياة الوائلي.

ثالثا: الشيخ الوائلي وانفتاحه على الصحافة.

رابعاً: منهج الشيخ الوائلي في المنبر الحسيني والبيئة النجفية.

خامساً: الشيخ الوائلي بين الاصلاح والتجديد.

سادسا: موقف الوائلي من وحدة الأمة الاسلامية.

سابعا: جوانب من شعر الشيخ الوائلي في حب اهل البيت (ع).

اولا: لمحات من تنشئة وسيرة الشيخ الوائلي:

الدكتور الشيخ احمد بن حسون بن سعيد الوائلي المولود في النجف الاشرف سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٨م، حقق تفوقاً في كل صنف من صنفي دراسته الحوزوية والاكاديمية، فقد التحق بالكتاتيب مثل بقية اقرانه، وكانت علامات النبوغ والتفوق واضحة عليه، ففي السابعة من عمره اكمل القرآن الكريم، ولا شك ان ذلك ترك اثره الكبير على شخصيته وثقافته وتوجهاته الاسلامية الاصيلة، لتجتمع هذه المقومات وغيرها ليكون امير الخطباء على الاطلاع، ومن إطار صيته في الآفاق، عالم منبري واديب موسوعي، وشاعر رقيق له ديوان شعر.

فضلا عن كونه اصبح احد اعلام الاسلام المعاصرين، واحد كبار من صنع ثقافة الاجيال المسلمة من ابناء العراق والعرب وغير العرب، بعد ان تلقى في النجف الأشرف علومه ومعارفه عن جملة من اساتيذها الكرام، كالشيخ حسين زاير دهام والشيخ محمد سعيد مانع والشيخ هادي القرشي والسيد حسين مكي والشيخ محمد تقي الايرواني والشيخ محمد حسين المظفر والشيخ محمد رضا المظفر والشيخ علي ثامر والشيخ علي كاشف الغطاء والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ عبد المهدي مطر والشيخ علي سماكة وغيرهم من اساتذة كلية الفقه والحوزة العلمية في النجف الاشرف.

فضلا عن العوامل المؤثرة في صياغة شخصية الوائلي، ألا وهو عامل المجتمع الذي عاصره، فالوائلي ابن النجف الاشرف، نشأ في محيطه تربية وتعليما، والنجف من اعرق البيئات الثقافية والادبية الاسلامية قدما.

ولم يقف عند هذا الحد، بل واصل الاستزادة في مؤهلاته التراكمية في دراساته الاكاديمية فحصل على البكالوريوس من كلية الفقه – النجف الاشرف، وكان الثاني على دفعته، وحصل على الماجستير من جامعة بغداد / كلية الاداب عن موضوع رسالته: (احكام السجون في الشريعة الاسلامية) سنة ١٣٨٩هـ، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة عن اطروحته (استغلال الاجير وموقف الاسلام منه) وذلك في سنة ١٣٩٢هـ.

لقد برز الدكتور الشيخ الوائلي في فترة زمنية حساسة شهدت سيطرة الاتجاهات المادية على الساحة، وكان المد الشيوعي والقومي لهما تأثير كبير على الثقافة العامة، حتى ترى الشيخ الوائلي في قصيدته خواطر في الليل يقول:

والارض بحكمها رهط وان تزلوا
لا ينسبون الى ما جد من نظم
لو ساوموني حصى من تحت ارجلهم
بانجم الاشتراكيين لم اسم
الكاذبين على التاريخ والمثل
الغراء والعلم والاخلاق والقيم
والحاملين شعار الكادحين وهم
محض افتراء على العمال متهم
والمدعين التساوي والسماء لهم
والارض والناس اصناف من الخدم
الناب والظفر فحواهم فما تبخت
من رحمة بهم يوماً ولا رحم
عقماً لأرحام دنيا الناس إن نسلت
امثال اولاء من عرب ومن عجم

ويضيف في قصيدته (سماسرة الحرب):

ملأتم رباع الأرض بالنوح والندب
كفاكم دماء يا سماسرة الحرب

ومما يعني ان مهمة الخطيب كانت بالغة الصعوبة في عملية التوعية الجماهيرية، لكن الشيخ الوائلي استطاع بفضل الفكر الاسلامي الانساني وكفاءته ومقدرته العلمية من فرض منهجه وسط المجتمع، وتمكن من استقطاب الاضواء بدرجة ملفتة للنظر، وكان منبره مدرسة متحدية كتناول كل الافكار ومنها الافكار المادية بالدراسة والتحليل والنقد والتفنيد على وفق منهج علمي موضوعي.

وكل معاصر للشيخ الوائلي ومواكب لمحاضراته التي لا تقف عند خط معين، يستقرأ الوعي المتمثل لحمل الهموم والمهام على اساس الحاجة المعتمدة على زمان ومكان ومديات واستراتيجيات مفعول تأثير المحاضرات، والواضح معاملة الحاجات الفكرية الثقافية العلمية تبنى على اساس الوصول لكل المستويات وبالموضوعية العقائدية التوعوية، بحيث جعلته مصدر معلومات دقيقة تعتمد بالاساس على مصادر ومراجع مختلف المذاهب والاديان، والبناء على وفق دراسة بحثية مقارنة تحقق بمنهجيتها الموضوعية ومحاورة الاراء، وهو الاتجاه والمنحى التي اختطته البيئة النجفية ومدارسها الحوزوية والاكاديمية الراسخة، والمنطلقة منها المؤتمرات والندوات والمهرجانات الهادفة للمحاورة وتقبل الرأي الاخر، والتقريب بين المذاهب والاديان على اساس الآية الكريمة العظيمة (لا إكراه في الدين) (سورة البقرة/ الاية ٢٥٦).

حتى اصبح العالم والاديب والمفكر في النجف الاشرف يحمل على كاهله الهموم والالم والمسؤولية الكبيرة اتجاه المدينة والموروث العظيم الحضاري الاسلامي والعقائدي، واتجاه الامة العربية والاسلامية، بل حتى المسؤولية الانسانية، ومنهم ما كان يحمله الشيخ الوائلي رحمه الله تعالى.

ثانيا: البيئة النجفية والتفاعل الداخلي المعاصر لحياة الوائلي:

لا ننسى بأن ولادة العلامة الشيخ الوائلي كانت في العشرينيات من القرن المنصرم، وبالتحديد عام ١٩٢٨م، وما ينسم به من سمات بساطة العيش وصعوبة ظروف المعيشة، وبالرغم من ذلك ترى الانسان يعيد بشكل وبآخر عن ماديات الحياة، وبطبيعة البيئة النجفية كان الاتجاه منصباً على الاهتمام بالعلم والادب والشعر..

وفي مجلة الاعتدال النجفية، مقالة للاستاذ البلاغي ورد فيها: (في النجف – علاوة على الثروة العلمية الغزيرة – ثرو ة ادبية قيمة، هي ينبوع غزير، لا ساحل له ولا قرار، وعين لالاداب فوارة، يمكن ان يرتوي منها ابناء الضاد، وان يخلفوا منها للعراق كيانا ادبيا جديداً يتناسب والعصر الحاضر، ويتفق والطراز الحديث..).

حتى يقول: وهب انك استطعت (هيهات) ان تحصي في مدة طويلة اسماء ادابها وتعرف من مؤلفاتهم شيئا فانك لا محالة عاجز عن الوقوف على نهاية اثارهم المبعثرة هنا وهناك، ويمكننا في هذا المقام ان نحصر الثروة الادبية في النجف بنطاق ضيق وتلخصه في مواضيع ثلاث:

١- ادب الجدران والابواب، ومنه المتمثل بالمدونات من الشعر على ابواب المدارس والمقابر والجوامع والمساجد والحسينيات.

٢- ادب المجاميع الناطقة، ومنه المتمثل بالمحافل واللقاءات الفردية والجماعية والمتضمنة رواية الادب والشعر والعلوم والطرائف.

٣- ادب المجاميع المخطوطة، ومنه المتمثل بما تحويه المكتبات العامة والخاصة من المخطوطات الاثرية القديمة والحديثة..

وما المساجلات الادبية والظرف في مجالس ادباء النجف الاشرف، إلا الصورة الحية من اساليب نشر الادب والشعر والتنويع في مناهجه، لئلا يشغل الحياة الركون الى التقوقع والجمود والروتين والملل..

من هذه البيئة الكريمة انطلق بتماسك موضوعي ثر اصيل، يستمد من القرآن الكريم، والاحاديث النبوية الشريفة واقوال الائمة الكرام (ع) وما جاد به الفكر الاصيل من علماء الأمة الاسلامية وفي مقدمتهم علماء النجف القائم نهضتهم على الوحدة الاسلامية.

ثالثا: الشيخ الوائلي وانفتاحه على الصحافة:

انبثق الشيخ احمد الوائلي في بيئة تهتم بالانفتاح على العالم وكل الحضارات، وبحكم وجود قيادة الحوزة الشريفة من النجف الاشرف، جعلها اكثر انفتاحا وتعاملا وتفاعلا مع الرأي الأخر بكل موضوعية وبحث وتحقق من كل ما يدور، لتدعم ما يصدر عنها من آراء مسؤولة تخدم وحدة الاسلام والمسلمين وبالروح الانسانية الراسخة.

فترى قيام المطابع في النجف الاشرف، وصدور مختلف الجرائد والمجلات والنشرات والكتب بمختلف اتجاهاتها الثقافية، لتكون بوابة الاتصالات الفكرية، فضلا عن استقبالها للمنشورات العالمية ومداولة الفكر العالمي بوعي وتمحيص وتحليل موضوعي..

وقد سبقه، وواكب الشيخ الوائلي صدور المنشورات المختلف، كما هو عليه صدور مجلة (العلم) لمنشئها وصاحب امتيازها السيد هبة الدين الشهرستاني في عام ١٩١٠م، وهي تناقش كل ما يدور من سياسة واجتماع واقتصاد وتربية وتعلم وتعليم، بل مختلف العلوم والثقافات وكل جديد على الساحة الثقافية ومحاورتها بكل ود ومحبة هادفة للتفاعل والتطوير والنمو الحضاري.

وتفاعل الشيخ الوائلي مع الصحافة والنشر، وتؤكد ذلك ما نشره عبر مختلف الصحف، كما نتصفحه من خلال مجلة (النجف) لصاحبها ورئيس تحريرها السيد هادي فياض، الصادر الجزء الاول منها في عام ١٩٥٦م، حيث تم نشر قصيدة للشيخ الوائلي بعنوان (حائر)، ولها ابعادها الفلسفية التي ترتقي بالمحاورة مع الذات لتصل للحقيقة المفعمة بالوعي، ومنها يقول:

انا من انا انا عالم ابداً يظل مطلسما
اظمأ فاشرب ثم اشرب ثم لم يزل الظمأ
امشي فابصر ثم ابصر ثم اني في عمى
لا الارض تدري لم مشيت بها ولا تدري السما
انا لا ازال ابغي المنال
حتى وثقت بان سعيي للمحال
اغفيت ثم على فمي مات السؤال
وبصمة اخرى يضعها الشيخ الوائلي على صفحات مجلة (النجف) التي اخذ يصدر اعدادها الاخيرة طلبة كلية الفقه في النجف الاشرف، وتمثلت بصمته في قصيدة (العيد) ونقتطف منها:

قد تعددت في معانيك يا عيد
في كل جانح لك افق
فبأحلام طفلتي انت اثواب
حسان الالوان حمر وزرق
واراجيح في الهوا ومواصيل
على قطة الصغار تنق
وشفاه تؤثر الكلم الساذج
من واهن النسيم ارق
نظرات بريئة في عيون
تسكب الطهر لم يدنسه حنق

ولايمكن بهذه الوقفة ان تغطي على البعد من اثر الشيخ الوائلي، لذا يتطلب دراسة خاصة للشيخ الوائلي وانفتاحه على الصحافة وما نشر من نتاجاته الفكرية المختلفة من الأدب والشعر والبحوث والموضوعات وما ماثلها، واللقاءات الصحفية، الخ.

الشيخ احمد الوائلي رحمه الله (الثاني من اليسار) في كلية منتدى النشر في النجف الاشرف، في مطلع الستينات من القرن الماضي. ويظهر الشيخ محمد رضا المظفر (عميد الكلية) يتوسط الجالسين

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير: علي حسين

الاخراج الفني: نصير سليم

التصحيح اللغوي: نوري صباح

طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

الشيخ الدكتور احمد الوائلي

جلال حسين شريم
باحث لبناني

عالم حسيني مسكون بوحدة الامة الاسلامية
جلال حسين شريم – لبنان

من نعم الله سبحانه وتعالى على هذه الامة ان تكرم عليها بثلة من العلماء الذين رفعوا لواء الحق، وبذلوا العمر في طلب العلم، وما توانوا عن طلب الحقيقة.

وتتضح اهمية هذه العمة الربانية عندما ندرك انه لا بد للدين من رجال يتخصصون في دراسة مبادئه واحكامه لتوضيحه ونشره، وتبيان حقائقه، ونزع ما التصق به من بدع وخرافات عبر التاريخ، وتفنيد ما يطرح في وجهه من اشكالات، وما يلقى من شبهات وعقبات.. وبما ان الدين يبقى، والعالم مهما عمر فان عمره محدود، واجله لا بد آت، ما يحتم موته جسمانيا، وان كانت افكاره وعلومه تبقى المنهاج والنبراس، وبما ان الزمان يتقلب، والواقع يتغير، واحتياجات البشر تتبدل، فان نعمة الله تواصلت على هذه الامة بان جعل العلماء سلسلة متواصلة، فكلما خبا نجم من سماء الاسلام سطع مكانه نجم او نجوم اخرى لتنير درب السائرين.

ومن هؤلاء العلماء يأتي العلامة الدكتور الشيخ احمد الوائلي الذي ارتحل الى بارئه في (١٤/ جمادي الاولى/ ١٤٢٤ هـ = ١٤/ تموز ٢٠٠٣م) بعد انقضى ٧٥ عاما في خدمة الاسلام والعلم.

الوائلي يتحدث عن نفسه:

ليس هناك اصدق من حديث المرء عن نفسه، وهو يتذكر طفولته، ومدارجه الاولى، وكيف ارتقى سلم المجد، لذلك فلنترك الفقيه يتحدث عن نفسه، ويروي لنا ما الذي صنع هذه الشخصية الفذة، وكيف ارتفع هذا الجبل الشامخ من العلم بعد ان اطل على هذه الدنيا في (١٧/ربيع الاول/ من عام ١٣٤٧هـ الموافق لعام ١٩٢٨م). يقول الشيخ الوائلي في كتابه القيم (تجاربي مع المنبر) ولجت ميدان الخطابة في سن مبكرة جدا وكان لي من العمر عشر سنوات او اكثر بسنة او سنتين، وكان ذلك في سنة (١٣٥٧ – ١٣٥٩هـ). وكانت البداية مع والدي الخطيب الشيخ حسون سعيد، وهو خطيب غير مشهور، كما انه كان قليل القراءة، وذلك لأنه دخل ميدان الخطابة وهو في منتصف عمره (...)، وكان كثير الحفظ ولوعا بالتاريخ.

كنت اخرج مع والدي ليلا احمل امامه فانوسا يضيء له الطريق يوم لم تكن الطرق منارة بالكهرباء، واقرأ امامه المقدمة واعود معه بعد الفراغ، مكثت على ذلك فترة، ولكنه قال لي يوما: عليك بان تتلمذ على يد الخطباء الاخرين الذين يعرفون ولهم شهرة واسعة.

وبالفعل بدأت بالتلمذة بادئ ذي بدء على كل من الخطيب المرحوم الشيخ مسلم الجابري، والمرحوم الشيخ محمد الكاشي.. ولاشك ان كلا من الكاشي والجابري اعطاني شيئاً من التعرف على نبض المجالس وما هو مرغوب مما هو غير مرغوب، اخذت بعد التحق بمجالس المرحوم الخطيب الشيخ جواد القسام الذي له طابعه الخاص.. وقرأت بعد ذلك ولفترة طويلة مقدمة للمرحوم الخطيب السيد باقر البهباني.. اما الخطباء الذي تتلمذت عليهم بمعنى التلمذة من حيث الاستفادة من منابرهم شكلا ومضمونا فهما اثنان: المرحوم الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي والمرحوم الشيخ محمد علي القسام واللذين يتميز كل منهم بميزات.

سأذكر هنا ما اتخذته من خطوات اقتنعت انها هي المتعينة فعلا على نظرية إذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون، وتتلخص تلك الامور في خطوات منها: الاتجاه الى بناء الذات اولا وقدر الامكان وذلك في المجالات العلمية والادبية وتجسيدا لذلك.

عميد المنبر الحسيني:

احتل الدكتور الوائلي مركزاً مرموقاً منذ منتصف القرن العشرين الميلادي، وتربع على مركز الصدارة في الخطابة الحسينية حتى استحق عن جدارة لقب "عميد المنبر الحسيني" من دون منازع، ولم يتمكن الخطباء الاخرون من مجاراته في قدراته الخطابية والفكرية والعلمية والادبية، فهو صاحب مدرسة مستقلة خاصة لها اسلوبها الرائد ومنهجها الفريد، لذلك كانت مدرسة نادرة في عطاءاتها وابعادها، ما جعل الخطباء يسيرون على نهجه ويقتبسون من شعاع مدرسته، فاخذوا ينسجون خطبهم على منواله، بل اخذ بعضهم يقلدون حركاته، ويجارون نبرة صوته، وما ذلك إلا دليل على عبقرية هذا الخطيب الفذ.

ويقول بعض الكتاب: إن الوائلي، وخلافا لسائر الخطباء، دخل عالم المنبر كبيرا لا صغيرا وكبر، ولمع فيه نظرا لما يتمتع به من ميزات وقدرات. اضافة الى عمادة المنبر اشتهر بانه شاعر مرهف واديب مبدع، وداعية كبيرة، حمل هموم أمته، ودعا الى الذود عنها في مواجهة الاستعمار والاحتلال، وحرض المجاهدين، بشعره وخطبه، على المقاومة والتصدي لمشاريع العدو وعدوانه.

لقد تمكن الدكتور الوائلي قدس سره من اعتلاء هذه المكانة الرفيعة لأسباب خمسة:

١- تتلمذه على ثلة من العلماء الكبار والخطباء المعروفين.

٢- نشوؤه في بيئة النجف الأشرف، المعروف بتراثها العلمي والادبي.

٣- تحصيله الاكاديمي العالي، الأ/ر الذي اغنى شخصيته العلمية بالدراسة الحوزوية والدراسات الجامعية الحديثة.

٤- اطلاعه على كافة المذاهب الاسلامية فلم يحصر علمه بمذهب دون آخر.

٥- ملكاته الخاصة، وذكاؤه الفطري، وشخصيته المبدعة.

عن مجلة الارشيف ـ ملف خاص بالوائلي

عراقيون

من زمن التوهج